المنار
١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام : إن للإسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق

مصر غاية رمضان سنة ١٣٣٨ — ٦ الجوزاء (د ٣) سنة ١٢٩٨ هاش ١٧ يونية سنة ١٩٢٠

تفسير القرآن الحكيم

على الطريقة التي كان يلقيها في الأزهر شيخنا الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده رضي الله عنه

الجزء الثامن

(١١٠) وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ (١١١) وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ، وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ (١١٢) وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ

بين الله سبحانه في الآيتين اللتين قبل هذه الآيات أن مقترحي الآيات الكونية على الرسول ﷺ أقسموا بالله مجتهدين في أيمانهم مؤكديها قائلين . لئن جاءتنا آية لنؤمنن بها و به تدل عليه من صدق الرسول في دعوى الرسالة وما جاء به عن الله تعالى . وأن المؤمنين كانوا يودون إجابة اقتراحهم ، ويظنون أنها تفضي الى ايمانهم، فبين الله تعالى لهم خطأ ظنهم بقوله (وما يشعركم أنها إذا جاءت لايؤمنون ؟ ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ، ونذرهم في طغيانهم يعمهون) نفى عنهم الشعور بسنته تعالى فيهم وفي أمثالهم من المعاندين وما يكون من شأنهم اذا رأوا آية تدل على خلاف ما يعتقدون وما يهوون وهي أنهم ينظرون اليها ويتفكرون فيها بقصد الجحود والانكار فيحملونها على خداع السحر وأباطيله ويزعمون أنها لاتدل على المطلوب . وبعد بيان سنته تعالى فيهم عند مجيء الآية المقترحة صرح بما هو أبلغ من ذلك فقال .

(ولو أننا نزلنا اليهم الملائكة) فرأوها المرة بعد المرة بأعينهم وسمعوا شهادتها لك بالرسالة بآذانهم (وكلمهم الموتى) منهم باحيائنا إياهم آية لك وحجة على صدق ماجئت به عن الله تعالى من أن الموت ليس عدما محضا للانسان (وحشرنا عليهم كل شيء قبلا) أي وجمعنا كل شيء من الآيات والدلائل غير الملائكة والموتى فسقناه وأرسلناه عليهم مقابلا لهم أو كافلا لصحة دعوتك أو قبيلا قبيلا (ماكانوا ليؤمنوا) أي ماكان من شأنهم ولا مقتضى استعدادهم أن يؤمنوا . ونفي الشأن أبلغ من نفي الفعل ، ذلك بأنهم لاينظرون في شيء من الآيات نظر استدلال وانما ينظرون اليها نظر من جاءه ولي يريد نصره واغاثته واخراجه من ضيق نزل به فظن أنه عدو يواجهه ليوقع به ويسلبه ما بيده فيتبرى لقتاله ، فاذا قال له انما أنا ولي نصير لاعدو مغير . ظن أنه يخدعه بقوله ، وأنه اذا لم يسبق الى قتله قتله لايعقل غير هذا

وقوله تعالى «قبلا» قرأه عاصم وحمزة والكسائي بضم القاف والباء هنا وفي سورة الكهف ، وقرأه نافع وابن عامر بكسر القاف وفتح الباء فيهما ، وابن كثير وأبو عمرو كالاولين هنا وكالاخيرين في الكهف قيل إن معنى القراءتين واحد وهو المقابلة والمواجهة بالشيء ونقله الواحدي عن أبي زيد ، والتقدير :وحشرنا عليهم كل

شيء من أنواع الدلائل مواجهة ومعاينة ، وقيل إن الاولى جمع قبيل فهو كقضب ورغف (بضمتين فيهما) جمع قضيب ورغيف ، والتقدير وحشرنا عليهم كل شيء من ذلك قبيلا قبيلا وصنفا صنفا ، أى كل صنف منه على حدة . ومن استعمال مفرده في مثل هذا المقام قوله تعالى في حكاية اقتراحهم الآيات من سورة الاسراء (أو تأتى بالله والملائكة قبيلا) وقيل معناه الكفيل أى وحشرنا عليهم كل ما ذكر كفلاء يضمنون لهم صحة ما جئت به . وهو مروى عن أبي عبيدة والفراء والزجاج . وكل ماذكر من المعانى للقراءتين متفق يؤيد بعضه بعضا .

وأما الاستثناء بقوله تعالى (الا أن يشاء الله) فقيل هو منقطع معناه لكن الله تعالى ان شاء إيمان أحد منهم آمن ، وقيل هو استثناء متصل من أعم الاحوال أو الاوقات ، والمراد عليه أنهم ماداموا على صفاتهم التى هم عليها فى زمن اقتراح الآيات لا يؤمنون واذا شاء الله أن يزيلها فعل . والظاهر أنه مؤيد لذلك الجزم بعدم إيمان هؤلاء الناس الموصوفين بما ذكر من العناد والكبرياء والمكابرة ومعناه . أن سنة الله تعالى فى فقدهم الاستعداد للايمان جارية بحسب مشيئته تعالى ككل ما يجرى فى هذا العالم ولو شاء غير ذلك لكان ، ولكنه لا يشاء لانه تغيير لسننه وتبديل لطباع هذا النوع من خلقه . (الانسان) فهو اذا مزيد تأكيد لنفى الايمان عنهم والاستاذ الامام يعد من هذا التأكيد قوله تعالى (سنقرئك فلا تنسى الا ما شاء الله) فالمراد أنه لا ينسى البتة ، وقد يفسر به ما استشكلوه وذهبوا المذاهب فى تأويله من آيتى سورة هود (خالدين فيها مادامت السموات والارض الا ما شاء ربك) ولا حجة فى الاستثناء بالمشيئة فى هذه الآية وأمثالها للجبرية على جبرهم ولا للقائلين بخلق الله تعالى للشر ولا لمنكريه فكل ما يجرى فى الكون من أعمال البشر الاختيارية خيرها وشرها جار بنظام وسنن حكيمة وكلها بمشيئة الله تعالى وما هو شر من أفعال الناس الاختيارية لقبحه ولما يترتب عليه من ضررهم به وعقابهم عليه لا يستلزم ما قالته تلك الفرق كما بيناه مرارا فى هذا التفسير وفى مباحث أخرى من المنار

(ولكن أكثرهم يجهلون) سنن الله تعالى فى عباده وانطباقها على الأفراد والجماعات لذلك يتمنى بعض المؤمنين لو يؤتى مقترحوا الآيات ما اقترحوه لعلهم

أنه يكون سببا لايمانهم ، وليست الآيات بملزمة ولا مغيرة لطباع البشر فى اختيار ما ترجح عند كل منهم بحسب نظره فيها وفى غيرها . ولو شاء تعالى لجعلها كذلك ولو شاء أيضا لخلق الايمان فى قلوب البشر خلقا لا عمل لهم فيه ولا اختيار ، وحينئذ لايكونون محتاجين الى رسل بل لايكونون هم هذا النوع من الخلق الذى سمى الانسان

ذهب بعض المفسرين الى أن هذه الجملة الاخيرة نزلت فى المؤمنين فان أكثرهم يجهلون قطعا أن هؤلاء المقترحين المعاندين من الذين فقدوا الاستعداد للايمان والاستعداد للنظر الصحيح فى الآيات والدلائل الموصلة اليه . وذهب بعضهم الى أنها فى الكافرين الذين لايؤمنون كالجمل قبلها ولاشك أن جهلهم عظيم فى هذا الامر وفى غيره ، ويرجح الاول اسناد الجهل الى أكثرهم وهو عام شامل لهم ولا سيما اذا أريد بهم المستهزئون الخمسة خاصة كما تقدم فى أول السياق من آخر الجزء السابع وهم الوليد بن المغيرة المخزومى والعاصى بن وائل السهمى والاسود بن عبد يغوث الزهرى والاسود بن المطلب والحارث بن حنظلة . فقد كانوا أجهل القوم بهذه الهداية وأشدهم جهلا على الرسول ﷺ

ولما تضمن القول السابق أن أولئك المشركين المقترحين للآيات أعداء للنبى ﷺ وما اقترحوا ما اقترحوا الا لاعتقادهم انهم لايؤتونه فيكون ذلك بابا للطعن فى رسالته — أراد الله تعالى تسليته (ص) عن ذلك ببيان سنته فى جميع النبيين فقال (وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن) أى وكما جعلنا هؤلاء ومن على شاكلتهم اعداء لك جعلنا لكل نبي جاء قبلك اعداءهم شياطين الانس والجن والعدو ضد الصديق والحبيب يطلق على المفرد والمثنى والجمع والذكر والانثى . قال تعالى فى آية اخرى (فانهم عدولى) ولذلك بين العدو هنا بانهم شياطين الانس والجن فشياطين بيان لعدو أو بدل منه . ويجوز أن يكون المعنى جعلنا شياطين الانس والجن اعداء لكل نبى بعثه الله تعالى . ذهب عكرمة والسدى الى ان المراد بشياطين الانس الشياطين الذين يضلون الانس بالوسوسة لهم وبشياطين الجن الذين يضلون الجن كذلك وكلهم من ولد ابليس وانه ليس فى الانس شياطين وهذا القول باطل بدليل قوله تعالى (واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم) الآية .

والصواب ماروى عن مجاهد وقتادة والحسن وهو أن من الانس شياطين ومن الجن شياطين ورجحه ابن جرير بحديث أبى ذر المرفوع الذى رواه من عدة طرق وهو أن النبى (ص) قال له عقب صلاة « يا أبا ذر : هل تعوذت بالله من شر شياطين الانس والجن ؟ – قال قلت يا رسول الله وهل للانس من شياطين ؟ قال – نعم » وقال ابن عباس كل عات متمرد من الجن والانس فهو شيطان

ومعنى هذا الجعل ان سنة الله تعالى فى الخلق مضت بان يكون الشرير المتمرد العاتى عن الحق والمعروف أى الذى لاينقاد لهما كبرا وعنادا وجمودا على ما تعود يكون عدوا للدعاة اليهما من الانبياء عليهم الصلاة والسلام ومن ورثتهم وناشرى هدايتهم . وهكذا شأن كل ضدين يدعو أحدهما الى خلاف ما عليه الآخر مما يتعلق بمنافعهم الاجتماعية، فان كان أحدهما خيرا محقا نسبت العداوة الى الآخر الشرير المبطل لانه هو الذى يسعى الى ايذاء مخالفه بكل وسيلة يستطيعها لانه مخالف وإن كان يعلم أنه يريد الخير له وليس كل مخالف مبطل عدوا يسعى جهده لايذاء مخالفه المحق ، وانما يتصدى لذلك العتاة المستكبرون المحبون للشهرة والزعامة بالباطل والمترفون الذين يخافون على نعيمهم . فلم يكن كل كافر بالأنبياء عليهم السلام ناصبا نفسه لعداوتهم وايذائهم وصد الناس عنهم بل اولئك العتاة المتمردون من الرؤساء والمترفين والقساة الذين ضريت انفسهم بالعدوان والبغى واولئك هم الشياطين المفسدون فى الارض سواء كانوا من جنس الانس الظاهر او من جنس الجن الخفى وحكمة عداوة الاشرار للاخيار هى ما يعبر عنه فى عرف علماء الاجتماع البشرى بسنة تنازع البقاء بين المتقابلات التى تقضى بالجهاد والتمحيص الى مايسمونه (سنة الانتخاب الطبيعى) اى انتصار الحق وبقاء الامثل التى ورد بها المثل فى قوله تعالى من سورة الرعد (انزل من السماء ماء فسالت اودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا . ومما يوقدون عليه فى النار ابتغاء حلية او متاع زبد مثله ، كذلك يضرب الله الحق والباطل . فاما الزبد فيذهب جفاء واما ما ينفع الناس فيمكث فى الارض . كذلك يضرب الله الامثال) فالحياة الدنيا جهاد لا يكمل ويثبت فيها الا المجاهدون الصابرون . وكذلك العمل فيها للآخرة . (ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم

الصابرين . أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ؟ ألا ان نصر الله قريب » والعاقبة للمتقين) ولكن أكثر الناس حتى من أهل الحق بله غيرهم يجهلون هذه السنن الحكيمة العالية واذا ذكرت لهم يشتبهون في تطبيقها على أنفسهم وعلى غيرهم كما اشتبه كثير من المسلمين في سبب خذلان دولهم وسقوط حكوماتهم ظانين أن مجرد تسميتها مسلمة كاف لنصر الله إياها وان خالفت هداية دينه بالظلم والفسق والكفر في زعمائها والاقرار من دهمائها وخالفت سننه في تنازع البقاء وتوقفه على كمال الاستعداد كما قال (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة) وقال . (ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم) ولم يقيموا شيئا من هذه الاوامر والنواهي بل فعلوا ضدها ، وقد سبق لنا تحقيق هذه المباحث في التفسير وغير التفسير من أبواب المنار

ثم بين تعالى شر ضروب عداء هؤلاء الشياطين للأنبياء وهو مقاومة هدايتهم بقوله (يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا) أي يلقي بعضهم الى بعض القول المزين المموه بما يظنون انه يستر قبحه ويخفي باطله بطرق خفية دقيقة لا يفطن لباطلها كل أحد ليغروهم به ، فالايحاء الاعلام بالأشياء من طريق خفي دقيق سريع كالايماء وتقدم . والزخرف الزينة كالازهار للأرض والذهب للنساء والتخييل الشعري في الكلام وما يصرف السامع عن الحقائق الى الاوهام والغرور ضرب من الخداع بالباطل ماخوذ من الغرة (بالكسر) والغرارة (بالفتح) وهما بمعنى الغفلة والبلاهة وعدم التجارب ومنه شاب غر وفتاة غر (بالكسر) أي غافلان عن شؤون الرجال والنساء لاتجربة لها . وهذا ماخوذ من غر الثوب (بالفتح) وهو الكسر والثني الذي يحدث من طيه . يقولون طويت الثوب على غره أي على ثني طيته الاولى لم أحدث فيه تغييرا ، ثم صار يضرب مثلا لكل ما يترك على حاله يقال طويته على غره . والبصير الذي علمته التجارب حيل الناس وأباطيلهم لا يغر كما يغر من بقي على سجيته التي خلق عليها كالثوب الباقي على طيته الاولى . يقال غره يغره غرا وغرورا والمثال الأول من هذا الغرور هو ما أوحاه الشيطان الاول للانسان الأول أبينا (آدم) ولزوجه وهو تزيينه لهما الاكل من الشجرة التي اختبرهما الله تعالى بالنهي

من قربها إذ قال لهما أنها شجرة الخلد وملك لايبلى (وقاسمهما انى لكما لمن الناصحين فدلاهما بغرور) ومنه ما يوسوس به شياطين الانس والجن لمن يزينون لهم المعاصي بما فيها من اللذة ، والانطلاق من القيود المانعة من الحرية ، واطماع المؤمن منهم بأماني الرحمة والمغفرة ، والكفارات والشفاعة ، كقول أحد شياطين الانس :

تكثر ما استطعت من الخطايا فانك واجد ربا غفورا
تعض ندامة كفيك مما تركت مخافة النار السرورا

والتغرير بزخرف القول قد ارتقى عند شياطين هذا الزمان ولاسيما شياطين السياسة ارتقاء عجيبا وهم يخدعون الاحزاب منهم والأمم والشعوب من غيرهم فيصورون لها الاستعباد حرية . والشقاوة سعادة ، بتغيير الأسماء وتزيين أقبح المنكرات ، وان من الشعوب أغرارا كالأفراد ، تلدغ من الجحر الواحد مرتين بل عدة مرار ، فاعتبروا ياأولى الابصار

(ولو شاء ربك مافعلوه) أى لو شاء ربك أيها الرسول أن لايفعلوا هذا الايحاء الغار ما فعلوه ولكنه لم يشأ أن يغير خلقهم ، أو يجبرهم على خلاف ما زينته لهم أهواؤهم ، بل شاء أن يكون كل من الانس والجن مستعدين للحق والباطل والخير والشر ، وأن يكونوا مختارين فى سلوك كل من الطريقين ، كما قال فى الانسان (وهديناه النجدين) ومن وسوسة هؤلاء الشياطين للناس وزخرفها تحريف مثل هذه الآية الحكيمة بحملها على معنى الجبر فيقولون : ان كل عاص لله معذور لأنه ما عصاه الا بمشيئته التى لايستطيع الخروج عنها وسيأتى فى هذه السورة قوله تعالى فى ذلك : (سيقول الذين أشركوا : لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء . كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا . قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا؟ إن تتبعون الا الظن وان أنتم الا تخرصون) فلا عذر بمشيئة الله لأحد لأنه لم يشأ أن تكون أفعالهم اضطرارية بل خلقهم بمشيئته يفعلون مايفعلون باختيارهم ويحتجون على المنكرين عليهم كثيرا بانهم على حق . واذا اعترفوا بخطاء يلتمسون لانفسهم فيه العذر ، (فذرهم ومايفترون) من كذب ، ويختلقون من إفك ليصرفوا الناس عن الحق ، واستقم كما أمرت ، فانما عليك البلاغ ، وعلينا الحساب والجزاء ، والعاقبة للمتقين ، وسنريك سنتنا فى أمثالهم بعد حين ، وقد فعل عز وجل ، فله الملك

المستهزئين بالقرآن الذين قيل إن السياق نزل فيهم ، ونصر الله عبده ، وأعز جنده ، وهكذا ينصر من ينصره ، وأما المتنازعون على الباطل ، ويجد الارض الزائل .فانما يكون الفلج بينهم بحسب سنن الله تعالى لاشدهم مراعاة لها فى الاستعداد الحربي والاجتماعي وتخلقا بالاخلاق العالية كالصبر والثبات ، كما بيناه مرارا

(ولتصغى اليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة) صغى اليه (كرضى) يصغى صغى مال ومثله صغا يصغو صغوا ، وأصغى الى حديثه مال واستمع ، وأصغى الاناء أماله . ويقال : صغى فلان معك — أى ميله وهواه كما يقال ضلعه معك . والمعنى يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول ليغروهم به ويخدعوهم وينشأ عن ذلك أن تصغى اليه قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة لموافقته لاهوائهم (وليرضوه وليقترفوا ماهم مقترفون) أى وليترتب عليه أيضا أن يرضوه من غير بحث فى صحته وعدمها وأن يقترفوا بتأثيره ماهم مقترفوه من المعاصي والآثام بغرورهم به ورضاهم عنه . اقترف المال اكتسبه والذنب اجترحه وصرح باللام فى هذه الجمل دون الغرور لان الغرور من فعل الموحين وهذه الافعال ليست منه وانما هى مايترتب عليه من أفعال المغترين به لاستعدادهم له وهم الذين لا يؤمنون بالآخرة فانهم هم الذين لايهمهم من حياتهم . الا اتباع أهوائهم وارضاء شهواتهم . وقد غفل بعض المفسرين عن الفرق بين فعل الغر والغرور وبين مايترتب عليه من أفعال المغترين به فظن أن تفسير الكلام هكذا يكون من عطف الشيء على نفسه وانما هو بمعنى زيد غر عمرو فاغتر . وهذه اللام هى التى تسمى لام العاقبة والصيرورة قطعا .

ومن مباحث البلاغة نكتة الفرق بين قوله تعالى فى الآية (١١١) من هذه الآيات (ولو شاء ربك ما فعلوه) وقوله فى الآية (١٠٦) من آيات قبلها فى السورة (ولو شاء الله ما أشركوا) وهى أن المشيئة أسندت الى اسم الجلالة فى مقام اظهار الحقائق فى شؤون المشركين وما يجب على الرسول وماليس له . وأسندت الى اسم الرب مضافا الى الرسول فى مقام تسليته وبيان سنته تعالى فى أعداء الرسل قبله . فكأنه يقول : هذا ما اقتضته مشيئة ربك الكافل لك بحسن تربيته وعنايته نصرك على أعدائك وجعل العاقبة لك ولمن اتبعك من المؤمنين كما تقدم آنفا فى تفسير الجملة والحمد لله ملهم الصواب .

مذكرات الدكتور صدقى *

فى فلسفة الوجود

ننشر هذه المذكرة هنا فى فلسفة الوجود وإثبات الخالق جل شأنه، وقد كتبتها بعد تفكر طويل، وبحث عميق، وسترى فيها ان شاء الله تعالى أقوى دليل على وجود الخالق بحيث انك لن تجد فرقا بين قوة هذا الدليل وقوة دلائل العلوم الرياضية وغيرها فنقول :-

بديهيات لا بد من ذكرها قبل الدليل : الضدان لا يجتمعان وقد يرتفعان . النقيضان لا يجتمعان ولا يرتفعان . الترجيح بدون مرجح محال . واجب الوجود هو مالا ينفك عنه الوجود لا أزلا ولا أبدا فهو قديم باق . الجائز هو ما يجوز عليه الوجود والعدم ، ولا يرجح وجوده الا بمرجح أو موجد أو سبب . المستحيل هو مالا يتصور فى العقل وجوده . ايجاد الموجود تحصيل حاصل محال .

نظرة فى الكون : هذا الكون مركب من مادة وصورة ، فالمادة كل ممتد أو متحيز ، والصورة إما خيالية لا توجد الا فى الذهن أو المخيلة كصورة الاثير مثلا ونسميها أيضا الهيئة أو الحالة ، وإما وجودية تدرك بالحواس كشكل أى جسم معتاد، وقد تسمى المادة بالجواهر أو الذات وهى ماقام بنفسه ، وتسمى الصورة بالعرض أو الصفة الاضافية وهى ماقام بغيره ويستحيل قيامه بنفسه .

واذا استرسلنا فى التفكير والفرض فقد يجوز أن يكون أصل العالم غير ممتد وغير متحيز بأن كان فى حالة أو هيئة لا يمكن أن نتصورها بعقولنا لأننا لا نتصور الا المتحيز وانما نسلم بذلك جدلا لكيلا يطرأ على دليلنا الآتى احتمال ما أو ضعف بأى وجه من الوجوه

أما الذات أو الجوهر فليس فى مقدور البشر ايجاده أو اعدامه . وأما العرض أو الهيئة أو الحالة فهى مما تتعلق بها قدرة البشر ايجادا واعداما ، فمثلا قد نجمع من المادة أصنافا ونوجد منها بيتا أو غيره ثم نهدمه . فنحن قادرون على ايجاد الهيئة أو الحالة ولسنا قادرين على ايجاد المادة نفسها .

---

*) هذا آخر ما كتبه المرحوم الأسوف على نبوغه وفضله الدكتور محمد صدقى وهى بداية أبحاث كان قد شرع بكتابتها فعاجله المنية قبل اتمامها وقد علق عليها بعض الهوامش صالح مخلص رضا

الحالة أو الهيئة أو الصورة مهما فرضناها أو تخيلناها فهي كلها أمور ثبوتية مغايرة للذات أو المادة ، ولذلك توجد وتعدم بدون ان يصيب المادة من ذلك شيء فهي أمر زائد عليها، وان كانت قائمة بها، ولو كانت عينها لعدمت المادة بعدمها . وهذه الاعراض لها وجود قائم لو كانت عدما محضا لكانت زيادتها عدما لان زيادة العدم عدم فتكون الحالة زائدة على الذات وغير زائدة وهو محال .

فتخلص من ذلك أن حالة المادة هي أمر وجودي زائد على الذات ، وهي قابلة للعدم فتكون جائزة الوجود ، فلا يرجح وجودها الا بمرجح أي سبب موجود فلا تكون قديمة ، لأن الايجاد معناه الخلق بعد العدم . والقديم مالم يسبق وجوده بعدم فهو موجود دائما ، وايجاد الموجود تحصيل حاصل وهو محال .

وعليه فهذه الحالة حادثة ، وكذلك كل حالة زائلة ، والمادة لا يمكن تصورها بلا حالة حادثة فتكون هي أيضا حادثة (١) والا كانت مجردة عن كل حالة وهو محال ، أو تكون موجودة ومتقلبة في حالات حادثة لا أول لها وهو محال ايضا (٢) إذ تقلبها في هذه الحالات يدل على الانتهاء منها قبل كل حالة ، وكونها لا أول لها يستلزم عدم احصائها أو تناهيها ، والانتهاء مما لا نهاية له محال لانه تناقض .

وجود الخالق : فالمادة حادثة ، وكل حادث لابد له من محدث وهو الله تعالى والا جاز الترجيح بدون مرجح وهو محال .

(قدم صفات الله تعالى) الواجب قديم الذات قديم الصفات غير متغير والقدرة هي هي بعد الخلق كما كانت قبله ، والخلق عمل عمله الله لم يحدث تغييرا في ذاته أو صفاته مطلقا وليس بحركة . ولكنا لا ندرك كنه هذا العمل (الخلق) ولا كنه الخالق ولا كنه المخلوقات .

وخلق الازلي محال ، لان الخلق معناه الايجاد بعد العدم ، والازلي لم يسبق وجوده بعدم فهو موجود دائما ، وايجاد الموجود تحصيل حاصل .

كذلك ايجاد حوادث في الأزل لا أول لها ، لان ايجادها يستلزم احصاءها وحصرها واحصاء مالا يعد محال . لذلك قال تعالى (وأحصى كل شيء عددا)

---

(١) لان ملازم الحادث حادث (٢) اذ هو التسلسل

(نفي الجسمية عن الله تعالى) لو كان الله تعالى متحيزا لكان مركبا من جواهر فردة ، والجوهر الفرد ماليس له امتداد مطلقا [1] وله وضع معين ، وحيث انه لافرق بين وضع ووضع بل كلها بالنسبة للجوهر سواء فوجوده في واحد منها دون غيره إما لعلة أو لغير علة . فان كان لغير علة فذلك ترجيح بدون مرجح وهو محال ، وان كان لعلة (أي سبب أو موجد) فلا يكون وجود الجوهر في الوضع المعين قديما لان القديم هو مالم يسبق وجوده بعدم فهو موجود دائما فلا يكون محتاجا لسبب به الوجود لكن المفروض هنا احتياجه للسبب فيكون محتاجا له غير محتاج له وهو تناقض ، وما نشأ ذلك إلا من فرض احتياج الله تعالى الى الوضع المعين فهو غير محتاج للوضع ولا للمكان وليس بمتحيز أصلا (سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا)

(الافول والحدوث) اعلم ان الافول المذكور في القرآن الشريف على لسان ابراهيم عليه السلام يدل على الحدوث لان معناه الغياب ، وهو يدل اما على تحرك الآفل أو على أنه محدود غير محيط بخلقه ، والا لم يمكن للارض أن تخرج بمن عليها عن تأثيره وسلطانه فان كان متحركا فهو حادث ، وان كان محدودا غير محيط بكل شيء فهو ملتزم لوضع معين ، وكل ما كان كذلك كان حادثا كما تقدم برهانه ، فالآفل على كل حال حادث ، وصدق الله وخليله عليه السلام .

(وحدانية الله تعالى) ثبت بالبرهان المذكور في كتابي (الدين في نظر العقل الصحيح) وبما يأتي أيضا : —

وهو ان اختصاص أحد الآلهة بخلق جزء دون غيره تخصيص بدون مخصص ، وان كان ذلك بعد تشاور أو مفاوضة واتفاق فاما أن يؤثر ذلك في العلم القديم والارادة أو لا يؤثر ، فان أثر فالعلم حادث وحدوثه يستلزم حدوث الذات ، وان لم يؤثر فلا فائدة فيه مطلقا ويكون اختصاص كل بما خلقه تخصيصا بدون مخصص أيضا ، ولا يلتئم ماخلقه هذا مع ما خلقه ذاك الا نادرا أو اتفاقا (صدفة) فيفسد نظام هذا العالم البديع ، ويذهب كل إله بما خلق ويعلو بعضهم على بعض

---

(١) الجوهر الفرد هو الجزء الذي لايتجزأ لاعقلا ولاوهما ولا فرضا مطلقا اي فرض وهو موجود وجودا حقيقيا خارجيا فانه هو الجزء الذي تنتهي اليه المادة بالتحليل والتقسيم ومتى كان للمادة اول هو ذلك الجزء الذي انتهت اليه بالتقسيم كانت حادثة وهو المطلوب .

المعلوم ـ

(١) إما واجب وهو مالا ينفك عنه الوجود لا أزلا ولا أبدا ، لابد أن يكون أمرا ثبوتيا سواء كان ذاتا أم صفة جوهرا أو عرضا ، اذ لامعنى لوجود للعموم

(٢) وإما جائز وهو مايجوز أن ينفك عنه الوجود اذا وجد ، ولا يوجد الا بموجد

(٣) وإما مستحيل وهو مالا يمكن وجوده أزلا ولا أبدا



أما استحالة الحركات فى الأزل فلأن معناه دخول حركات فى الوجود لاعداد لها ودخولها هذا يستلزم انحصارها وعدها . وعدمالا يعد تناقض باطل ، فلايجوز ذلك عقلا ولا فعلا .

وهناك ثلاثة أسئلة : —

(١) ألا يجوز أن يكون سكون المادة فى الازل واجبا ثم صار جائزا ؟ قلت : هل صار جائزا فجأة ؟ أم تدريجا فان كان فجأة لزم الترجيح بدون مرجح والمعلول بدون علة ، وان كان تدريجا لزم وجود تغيرات فى الازل وهو محال . وان قيل ان الزمان — على فرض وجوده — هو الذى فعل ذلك قلت : ان كانت قوة الزمان حدثت فجأة أو تدريجا قلنا فيها ما قلناه آنفا

(٢) ان كان سكون المادة جائزا فلا توجد الحركات فى الازل لعدم وجود القدرة على تحريكها أزلا فما تقول فى ذلك ؟ قلت ان كلامنا فى المادة من حيث هى بقطع النظر عن أى اعتبار آخر فهل يجوز عليها التحرك من حيث هى أم لا ؟ فان جازت الحركة عليها عقلا من حيث هى جاز عقلا وجود حركات فى الازل مع أن ذلك محال عقلا . فكأن الحركات تجوز عقلا ، لاتجوز وانكان لايجوز عليها عقلا الحركة فى الازل كان سكونها واجبا ولم يوجد العالم .

(٣) انك تقول ما ملخصه . إن قدرة الله لايمكنها أن توجد الحوادث فى الازل كما تقول ان قدرة المادة لاتقدر على تحريكها فى الازل فما الفرق بين القولين . وهل العالم يجوز عليه من حيث هو الوجود فى الازل او لايجوز ؟ قلت ان العالم لم يكن له وجود مطلقا فى الازل حتى يرد علينا هذا السؤال بخلاف المادة عندكم فهى مفروض وجودها أزلا فهذا هو الفرق بين القولين .

ملاحظة : — سمى المتحيز بالمادة لغة لأنه عند   الدكتور

٢٧ نوفمبر سنة ١٩١٩   صدقى

معاهدة الصلح مع تركية

خلاصتها

في يوم ١٢ مايو سنة ١٩٢٠ عقدت في قاعة الساعة بوزارة الخارجية الافرنسية جلسة ذات خمس دقائق حضرها سفير انكلترة وسفير ايطالية وسفير اليونان ومندوب بلجيكا ومندوب اليابان ومندوب الحجاز ومندوب الصين ومندوب البرتغال ومندوب رومانية ومندوب التشك سلوفاكيه ومندوب الصرب ورئيس الوفد الارمني وبعد التئام المجلس ادخل المسيو فوكيير الوفد التركي يرافقه ضابط ايطالي فقام الجميع وبعد ان جلس رئيس الوفد توفيق باشا في المكان المعد له والى جانبه وزير الداخلية رشيد باشا وفخر الدين بك وزير المعارف والدكتور جمال باشا وزير النافعة والاشغال

قال المسيو ميلران رئيس وزارة فرنسة : -

« حضرات مندوبي السلطنة العثمانية !

« ان الدول الحليفات طلبن الي أن أقدم لكم هذا المشروع للمعاهدة وهن يطلبن منكم قبوله . وقرر ان تكون المناقشة كتابة فتفضلوا بتقديم ملاحظاتكم مكتوبة لتجابوا عليها كتابة ولكم مدة شهر لتبدوا ملاحظاتكم وانما ستعدون منذ الآن بان تتلقى كل مستند ترون ابلاغه لنا »

وبعد ان أتم خطابه مبينا بان تركية هي التي أطالت زمن الحرب على الاحلاف الخ قدم المسيو فوكيير نسخة من مشروع معاهدة الصلح لرئيس الوفد فرد الرئيس بهذه الكلمة « الوفد يحفظ لنفسه الحق بان يرد على الدول الحليفات في الموعد المضروب بعد أن يدرس شروط الصلح التي قدمت اليه درسا دقيقا »

وهاك الخلاصة التي نشرتها صحف باريز ولندن من المعاهدة

الشروط السياسية

الآستانة

يسلم الفريقان بتأييد سيادة تركية على الآستانة ولكن على شرط هو أنه اذا أخلت تركية باتباع احكام المعاهدة أو المعاهدات أو الاتفاقات الملحقة بها لاسيما ما يتعلق بحماية الأقليات فان للدول المتحالفة تعديل القرارات السابقة . وتتعهد تركية بأن تقبل كل التدابير التي تتخذ بهذا الشأن

البواغيز

تفتح طريق الملاحة بالمستقبل فى البواغيز أى الدردنيل وبحر مرمرا والبوسفور فى زمن الحرب وزمن السلم لجميع المراكب التجارية والحربية والطيارات المائية الحربية والتجارية بلا تمييز بين الرايات . ولا تكون مياه تلك البواغيز موضوعا للحصر البحرى ولا يجوز اتيان أى عمل عدائى فيها الا فيما يلزم لانفاذ قرار من قرارات عصبة الأمم وستنشأ لجنة للبواغيز للقيام بالمراقبة عليها وستخول الحكومتان التركية واليونانية تلك اللجنة السلطة اللازمة من لدنهما وتؤلف اللجنة من عثمانيين معتمدين من الولايات المتحدة (اذا رغبت حكومة واشنطن فى ذلك ومتى أبلغت موافقتها بهذا الشأن) ومن السلطنة البريطانية وفرنسة وايطالية واليابان وروسية (اذا اعترف بروسية عضوا فى عصبة الأمم وبعد ذلك الاعتراف) ومن اليونان ورومانية وبلغارية (اذا اعترف ببلغارية عضوا فى عصبة الأمم وبعد ذلك الاعتراف) ولكل دولة أن تعتمد ممثلا واحدا لها ولكن يكون لكل من ممثلى الولايات المتحدة والسلطنة البريطانية وفرنسة وايطاليا واليابان وروسية صوتان ولكل من ممثلى سائر الدول صوت واحد وللجنة أن تستخدم سلطتها مستقلة عن السلطة المحلية ويكون لها رايتها الخاصة وميزانيتها الخاصة ونظامها المستقل . وهى مكلفة انفاذ جميع الاعمال اللازمة لتحسين سبل الملاحة فى البواغيز وفى مدخل الموانئ . ولها مراقبة سير السفن وقطرها وارسوها

وكذلك المراقبة اللازمة فى ثغرى الاستانة وحيدرباشا لتنفيذ النظام المنصوص عليه فى الشطر من المعاهدة الخاص بالموانئ والطرق المائيه والخطوط الحديدية .

وفى حالة الاعتداء على حرية المرور بالبواغيز قد ورد نص خاص يقتضى باستنجاد اللجنة بممثلى الدول المحتلة فى الاستانة . وهؤلاء الممثلون يقررون بالاتفاق مع القومندان البحرى والعسكرى لقوات الحلفاء التدابير الواجب اتخاذها وللجنة أن تقتنى الأملاك أو أن تقوم بالاعمال الدائمة التى تراها لازمة . أما الوسائل المالية فستتوافر بواسطة القروض التى تكون بضمان الرسوم التى يحق لها جبايتها على البواخر التى تمر بالبواغيز . وهناك أحكام تنقل الى لجنة البواغيز السلطة الممنوحة لمجلس الصحة

الاعلى وغيره من الهيئات وتقرر علاقاتها مع الشركات صاحبة الامتيازات الخاصة بالمنائر والأرصفة والأحواض الخ واللجنة ان تنظم قوة بوليس . وتحيل كل مخالفة للقوانين الى المحاكم القنصلية . أما الرسوم التى تضعها على السفن فيجب أن تكون واحدة أياكان الميناء الخارجة منه المراكب أو المسافرة اليه وأيا كانت رايتها وجنسية صاحبها .

وهنالك نصوص أشبه بالنصوص الواردة باتفاق سنة ١٨٨٨ الخاص بقناة السويس بشأن مرور السفن الحربية دون أى قيد خاص بالدولة المحاربة التى تعمل لانفاذ قرار من قرارات عصبة الامم .

كردستان

تقبل تركية سلفا مشروع استقلال محلى للاراضى التى يقطنها اكثرية من الاكراد شرق الفرات وجنوبى أرمينية كما ستحددها لجنة مؤلفة من الانكليز والفرنسويين والايطاليين ويكون مركزها فى الاستانة وهذا المشروع يصون حقوق الاشوريين والكلدانيين والاقليات الاخرى الجنسية والدينية فى تلك الاراضى وتتوقع المعاهدة تعديلا لحدود تركية المتاخمة لايران

واذا طلب الاكراد فى تلك المنطقة استقلالهم من عصبة الامم فى موعد معين فان هذا الاستقلال المعين يمنح لهم اذا أوصت به العصبة وحينئذ يجوز للاكراد القاطنين فى الجزء من كردستان الذى كان تابعا حتى الآن لولاية الموصل أن ينضموا الى الدولة الكردية المستقلة .

أزمير

تقبل الحكومة التركية بنقل التمتع بحقوق سيادتها على ازمير والمنطقة المتاخمة لها كما هى مبينة فى الخريطة الملحقة بالمعاهدة الى الحكومة اليونانية ، ويرفع العلم التركى على حصن من حصون ازمير الخارجية دلالة على السيادة العثمانية . وتكون الحكومة اليونانية مسؤولة عن ادارة المنطقة ويجوز لها ابقاء جنود فيها لصيانة النظام كما أنه مرخص لها ادخال تلك المنطقة فى نظامها الجمركى ويجب عليها انشاء

برلمان محلي على قاعدة التمثيل النسبي للاقليات وهذا المشروع لواجب عرضه على مجلس عصبة الامم يدخل في طور التنفيذ بعد موافقة أكثرية المجلس عليه ويجوز تأخير الانتخابات المحلية لمدة معينة ريثما تتم عودة السكان الذين أبعدتهم السلطة التركية . وهناك أحكام خصوصية ترمي الى حماية الاقليات وجنسيات السكان في البلاد والخارج والى ايقاف الخدمة العسكرية الالزامية والى الاحتفاظ بحرية العمل واستخدام تركية لمرفأ أزمير ، وقد نص على انه لا يجوز للحكومة اليونانية ان تقدم على ما من شأنه ازالة قيمة النقود التركية . وستحمل منطقة أزمير شطرا مناسبا من الدين العثماني . وبعد مضي خمس سنوات يجوز للبرلمان المحلي أن يطلب من عصبة الامم ضم منطقة أزمير الى مملكة اليونان ويحق لمجلس العصبة أن يستشير الاهلين . فاذا منحوا حق الانضمام الى اليونان فان تركية ترضى منذ الآن بالتنازل عن جميع حقوق سيادتها الى اليونان

اليونان

تتنازل تركية لليونان عن حقوقها وامتيازاتها عن الاراضي الواقعة في تركية أوربة خارجا عن الحدود المبينة في الخريطة الملحقة بالمعاهدة وعن جزر أمبروس وتنيدس وليمنوس وساموتراس ومدللي وساموس ونيكاريا وصاقس ، وعن جزر أخر من بحر الارخبيل . تقبل حكومة اليونان مبدئيا في منطقة البواغيز نفس التعهدات المأخوذة على تركية وتنص بعض المواد على معاهدة أخرى توقعها اليونان لحماية الاقليات الجنسية والدينية واللغوية في أملاكها الحديثة ولا سيما في أدرنة ولصيانة حرية تجارة المرور ومعاملة تجارة سائر الامم على قاعدة المساواة وتتحمل اليونان أيضا بعض تعهدات مالية

أرمينية

تعترف تركية بأرمينية كدولة حرة مستقلة وترضى بتحكيم رئيس الولايات المتحدة بشأن التخوم بين تركية وأرمينية في ولايات أرضروم وطرابزون ووان وبتليس ، وبشأن منفذ لأرمينية على البحر وتذكر المعاهدات واجبات أرمينية وحقوقها فيما لو ألحق بها

قرار رئيس الولايات المتحدة أملاكا تركية . أما تحديد التخوم بين أرمينية والكرج وآزربيجان فيكون بوضع اتفاق يعقد بين تلك الحكومات الثلاث ويجب على أرمينية توقيع معاهدة على حدة تضمن فيها حقوق الاقليات وحرية تجارة المرور الخ

سورية والعراق وفلسطين

يعترف المتعاقدون بسورية والعراق كدولتين مستقلتين بمقتضى المادة ٢٢ من عهدة عصبة الأمم أما من الوجهة الادارية فتكون تلك البلاد خاضعة لآراء ومساعدة دولة منتدبة الى ان تصبح قادرة على حكم نفسها بنفسها وستعين الدول المتحالفة الكبرى الحدود وتختار المنتدبين . ويعهد أيضا بادارة فلسطين الى دولة منتدبة طبقاً لأحكام المادة ٢٢ من عهدة عصبة الامم وتعين الدول المتحالفة الكبرى الدولة المنتدبة وتحدد التخوم وقد أثبت التصريح الأصلي الذي صرحت الحكومة البريطانية في ٨ نوفمبر سنة ١٩١٧ ووافقت عليه الحكومات المتحالفة بشأن انشاء وطن قومي لليهود في فلسطين ، وستكلف لجنة خاصة تختار رئيسها عصبة الامم بدرس وتسوية جميع المسائل الخاصة بالطوائف الدينية المختلفة في فلسطين

أما حدود الانتداب فستعينها الدول المتحالفة الكبرى وتعرضها على موافقة مجلس عصبة الأمم .

الحجاز

تعترف تركية كما اعترف الحلفاء بالحجاز كدولة حرة مستقلة وتنقل اليها حقوق سيادتها على الأراضي الواقعة وراء حدود السلطنة العثمانية القديمة قبل التخوم التي ستحدد فيما بعد للحجاز

وبالنظر للصفة المقدسة المعترف بها من جميع المسلمين لمكة والمدينة يتعهد ملك الحجاز بأن يدع الدخول اليهما حراً وسهلا لمسلمي جميع الأقطار الذين يقصدونهما للحج أو لأي غرض ديني آخر وسيعمل أيضا على احترام الأوقاف . وقد وضع قرار أيضاً لضمان المساواة التجارية التامة في أراضي الحجاز للدول الجديدة المؤلفة من تركية ولسائر الدول

مصر والسودان وقبرس

تتنازل تركية عن جميع حقوقها واختصاصاتها على القطر المصرى ابتداء من ٥ نوفمبر سنة ١٩١٤ وتعترف بحماية بريطانية العظمى على القطر المصرى المعلنة فى ١٨ ديسمبر سنة ١٩١٤ وقد وضعت نصوص خاصة بالأمور الآتية : اكتساب الاتراك الجنسية المصرية ، وترك الحرية للاتراك فى اختيار الجنسية التركية ومعاملة مصر والرعايا المصريين وبضائعهم ومراكبهم وحماية بريطانية العظمى الرعايا المصريين فى الخارج ، والتنازل لبريطانية العظمى عن السلطات المخولة لسلطان تركية بالاتفاق المعقود فى الآستانة فى ٢٩ أكتوبر سنة ١٨٨٠ بشأن قناة السويس ، وكيفية معاملة الأملاك الخاصة بالحكومة التركية والرعايا الأتراك فى القطر المصرى ، تتنازل تركية عن المطالب التى قدمتها بشأن الويركو الذى كانت تدفعه مصر ، وتقبل بريطانية العظمى تحمل المسؤوليات التى كانت على تركية من جراء القروض التركية التى كانت بضمانة ويركو مصر

ويأخذ المتعاقدون عهدة الاتفاق المبرم بين الحكومتين البريطانية والمصرية فى ١٩ يناير سنة ١٨٩٩ وبالاتفاق الاضافى المبرم فى ١٠ يوليو سنة ١٨٩٩ بشأن نظام ادارة السودان

ويعترف المتعاقدون أيضا بضم قبرس الذى أعلنته بريطانية العظمى فى ٥ نوفمبر سنة ١٩١٤ ، وتتنازل تركية عن جميع حقوقها على تلك الجزيرة بما فى ذلك التمتع (بالجزية) التى كانت تدفعها الجزيرة للسلطان وقد وضع قرار بشأن اكتساب الرعايا الاتراك المولودين فى قبرس أو المقيمين فيها عادة الجنسية البريطانية

المغرب وتونس

تعترف تركية بحماية فرنسة على المغرب الأقصى كما وضعت بالاتفاق المعقود فى ٣٠ مارس سنة ١٩١٢ وبحمايتها على تونس كما وضعت فى ١٢ مايو سنة ١٨٨١ وتعامل البضائع المراكشية والتونسية فى تركية معاملة البضائع الفرنسية

طرابلس وجزر بحر ايجه

تتنازل تركية عن الحقوق والامتيازات الممنوحة للسلطان فى طرابلس بمقتضى معاهدة لوزان المعقودة فى ١٢ أكتوبر سنة ١٩١٢ وتتنازل أيضا لايطالية عن جميع حقوقها واختصاصاتها فى جزر الدوديكاز التى تحتلها الآن ايطالية وفى جزيرة كاستللوريزو

الجنسية

وقد أدرج فى المعاهدة أحكام خصوصية لتسوية مسألة جنسية الرعايا الأتراك المقيمين عادة فى الاراضى التى سلخت عن تركية بمقتضى المعاهدة ، وهذه الأحكام تشبه بوجه عام الاحكام التى أدرجت فى المعاهدة مع النمسة

أحكام عمومية

تحت هذا العنوان أدرجت نصوص تعترف تركية بموجبها وتقبل بالمعاهدات والاتفاقات الاضافية التى عقدت مع الدول التى أنشأت أو ستنشأ فى الامبراطورية الروسية لقديمة وتعترف أيضا بالغاء معاهدة بريست ليتوفسك وجميع المعاهدات والاتفاقات التى عقدتها تركية مع حكومة روسية المكسيمالية

وسيناط بلجنة خاصة وضع نظام قضائى فى تركية يحل محل نظام الامتيازات الأجنبية

وتنص المعاهدة على وجه اصدار تركية عفوا عن جميع الرعايا الاتراك الذين قاتلوا أثناء الحرب فى جانب الحلفاء وعلى تنازل تركية عن جميع حقوق سيادتها واختصاصها على جميع المسلمين الخاضعين لسيادة أو لحماية دولة أخرى

الشروط المالية

تخصص جميع موارد تركية ـ ماعدا المخصص منها لخدمة صندوق الدين العثمانى ـ للقيام بالنفقات الآتية حسب ترتيب أولها :

(١) النفقات العادية لقوات الاحتلال المتحالفة بعد تنفيذ المعاهدة

(٢) نفقات الاحتلال من تاريخ ٣٠ أكتوبر سنة ١٩١٨ فى لاراضى الباقية عثمانية وفى الاراضى التى سلخت عن تركية وألحقت بدولة غير الدولة التى تحملت نفقات الاحتلال

(٣) دفع التعويضات التى يطالب بها الحلفاء عن اضرار أصابت رعاياهم أثناء الحرب ولغاية انفاذ المعاهدة

أملاك الحكومة العثمانية

الدول التي استولت على أراض سلخت من تركية تكون صاحبة الملكية في جميع الممتلكات التي كانت خاصة بالحكومة العثمانية في تلك الاراضي .

توزيع الدين العثماني

الدول التي استولت على أراض سلخت من تركية ينبغي لها أن تشترك في تحمل الاقساط السنوية الخاصة بالدين العثماني .

وعلى الدول البلقانية والدول التي نشأت حديثاً في آسيا ان تقدم الضمانات بشأن دفع ما يخصها من هذا القبيل .

أما معدل ما تتحمله كل دولة من الدين العثماني فيبنى على نسبة دخل الاملاك التي دخلت في حوزتها الى مجموع دخل تركية في السنوات الثلاث التي تقدمت الحرب البلقانية

وستجرى هذه القواعد نفسها من حيث تحمل نصيب من الدين العثماني على الدول التي استولت على أملاك عثمانية عقب الحروب البلقانية .

مراقبة المالية العثمانية

ينشأ في تركية قومسيون مؤلف من مندوب بريطاني ومندوب فرنسي وآخر ايطالي وينضم اليهم مندوب عثماني يكون صوته استشاريا ليتولى وضع الطرق التي يراها أنسب لاصلاح مالية تركية . ويدخل في اختصاص هذا القومسيون :

فحص الميزانية العثمانية التي لا يمكن انفاذها بدون موافقة القومسيون

تقرير التدابير اللازمة لاصلاح النظام النقدي في البلاد التركية

ولا يسع الحكومة العثمانية وضع أي ضريبة جديدة ولا تعديل نظامها الكمركي ولا عقد أي قرض داخلي أو خارجي ولا اعطاء أي امتياز بلا موافقة القومسيون

وتنص المعاهدة على امكان حلول هذا القومسيون المالي محل صندوق الدين لادارة الايرادات المتنازل عنها لذلك الصندوق ويكون ذلك بقرار من الاكثرية بعد استشارة حملة أسهم الدين وذلك في ميعاد ستة أشهر قبل انتهاء مدة مجلس الادارة الحالي .

وقد عهد الى القومسيون المالى فيما يتعلق بانفاذ هذه المعاهدة بما يأتى .

تعيين قيمة الاقساط الواجب على تركية دفعها تسديدا لمصاريف القوات الاحتلالية وتعويضا للاضرار التى استولت على أملاك عثمانية وذلك مقابل نصيبها فى الدين العثمانى .

تقرير كيفية تخصيص المبالغ الذهبية التى يجب نقلها من ألمانية والنمسة انفاذا لشروط المعاهدتين المعقودتين مع تينك الدولتين

الشروط الاقتصادية

تظل العلاقات التجارية بين الحلفاء وتركية خاضعة لأحكام الامتيازات التى يعاد نظامها الى ما كانت عليه قبل الحرب (وقد ألغيت الامتيازات اثناء الحرب)

وعليه فتكون الرسوم على الواردات كما قررها اتفاق ٢٥ إبريل سنة ١٩٠٧ على انه تركت السلطة واسعة للقومسيون المالى لتعديل الرسوم حسب الحاجة ولتطبيق الضرائب التى قد توضع على الاتراك أو على الرعايا الاجانب أيضا المقيمين فى تركية الى غير ذلك من الاختصاصات الخاصة بفرض رسوم جديدة أو تعديل الرسوم الموجودة .

تجريد تركية من السلاح

الجيش — يؤلف الجيش التركى من المتطوعة ومدة الخدمة ١٢ سنة (و ٢٥ للضباط) ويؤلف من ٣٥٠٠٠ نفر جاندرمة مع قوة مؤلفة من ١٥٠٠٠ لتعزيز الجاندرمة و ٧٠٠ للحرس السلطانى . ويشترك فى قيادة الجاندرمة ضباط من الحلفاء والمحايدين ، وتدمر جميع الحصون القائمة على شواطئ بحر مرمرا والبوغازين الى مسافة عشرين كيلو مترا

البحرية — تؤخذ من تركية جميع السفن الحربية ماعدا بعض سفن مسلحة تسليحا خفيفا تبقى لحاجة البوليس

الطيران — لا يترك لتركية شىء من أسباب الطيران العسكرى أو المائى .

المراقبة تؤلف لجان من الحلفاء لمراقبة نزع السلاح . وتؤلف الجاندرمة الجديدة على يد لجنة عسكرية من الحلفاء تتولى العمل لمدة خمس سنوات على الأقل

(تمت خلاصة شروط معاهدة الصلح مع تركية)

وصف بلاد العرب الجنوبية

التي يسميها اليونان العربية السعيدة

يراد بالعربية السعيدة اليمن وما جاورها وسميت بذلك لكثرة خيراتها بالنسبة الى البادية في الشمال فكأنهم يريدون بها بلاد العرب العامرة أو الحضراء ويحدها عندهم خليج العجم من الشرق وبحر العرب من الجنوب والبحر الاحمر من الغرب — ويسمون خليج العرب — ومن الشمال البادية وهي بادية الشام والعراق والعربية الحجرية (بلاد بطرا) فيدخل في اسم العربية السعيدة اليمن وحضرموت ، والشحر ، وعمان ، واليمامة ، ونجد

وأما العرب فيريدون باليمن الجزء الجنوبي من جزيرة العرب وهو ينقسم عند العرب الاقدمين الى ٨٤ مخلاف والمخلاف ينقسم الى مدن وقرى ، ويوجد فيه الاودية والجبال والسدود ، وقد فصل الهمداني كل مخلاف بقراه وأوديته وجباله في كتابه (صفة جزيرة العرب)

ما قاله اليونان عن تاريخ اليمن لم يدون اليونانيون وسواهم من أمم التاريخ كتابا في تاريخ اليمن أو تاريخ غيرها من بلاد العرب ولكنهم ذكروه عرضاً في أثناء كلامهم في الجغرافية العامة والرحلات وغيرها . وأكثر اليونان ذكراً لبلاد العرب سترابون وبلينوس وبريبلوس وبطليموس ، ذكر كل منهم مدنا وأمما وأحوالا أخرى من أحوال بلاد اليمن بعضها يوافق ما ذكره العرب والبعض الآخر يخالفه وذكروا مدنا وأقواما لم يعرفها العرب أي أنها لم ترد في تاريخهم أو جغرافيتهم . وأهم هؤلاء الاقوام هم (المعينيون) وذكروا الطرق التجارية ووصفوا الاحوال الاجتماعية فترى بين ما ذكره اليونان من الامم والمدن أمما لم يذكرها العرب أو ذكروها عرضا بما لا يستحق الذكر والمعينيون لم يعرفهم العرب وهم عند اليونان أمة عظيمة ذات تجارة واسعة وشأن كبير ومثلهم (القوربون) و (الجبائيون) .

ومن المدن التى نوهوا بها ، مأرب ، ولم يذكرها العرب الا فى عرض الكلام عن سدها وانفجارها .

كانت اليمن فى أصل نظامها تنقسم الى مخافد ، وهو يشبه نظام الاقطاع فى الاجيال الوسطى لاوربة وكانت الاقيال (١) فى اليمن يتعاطون التجارة والتوسط بلاد اليمن والهند والحبشة ومصر والشام والعراق كانوا ينقلون التجارة بين هذه البلدان بعد دخولها الى جزيرة العرب بالقوافل بطرق خاصة .

الدولة المعينية

تنبه العلماء الى هذه الدولة كما ذكره اليونان عنها فقال استرابون فى كلامه : عن بلاد اليمن ، يشمل القسم الجنوبى من جزيرة العرب اربعة شعوب المعينيون وعاصمتهم «قرنا» (٢) والسبأيون وعاصمتهم «مأرب» ، وذكر فى مكان آخر أن المعينيين يحملون التجارة الى «بطرا» مدينة الانباط ، وذكر بلينيوس ان المعينيين يقيمون فى بلاد كثيرة الغابات والاعراس ، وذكرهم ايضا ديونيوس وبطليموس واطروا سلطتهم وسعة تجارتهم . ولم يكن العلماء يعرفون «معين» فذهب بعضهم الى أن المراد بلفظ «معين» منى وهو — بقرب مكة — وقال آخرون غير ذلك حتى ووفق المستشرق «هاليفى» الى ارتياد بلاد الجوف الجنوبى شرق صنعاء واكتشف انقاض معين ، وقال الهمدانى فى كتاب الاكليل «مخافد اليمن . براقش ، ومعين ، وهما بأسفل جوف الرحب ، ولا يظهر أنها كانت دولة حرب وفتح بل كانت دولة تجارة مثل اخوانهم الفنيقيين على شواطىء سورية ودولة الانباط فى بطرا ، وأكثر دول اليمن على هذه القاعدة أى تجارية . وكانت طرقها التجارية ممتدة فى أواسط جزيرة العرب بين تلك البحار وانتشرت سيادتهم ومستعمراتهم الى اعالى الحجاز شمالا بدليل ما وقفوا عليه من النقوش المعينية فى العلاء — قرب وادى القرى — وفى الصفاء وفى حوران وغيرها

---

(١) الاقيال لقب ملوك اليمن واحدها قيل بوزن بيت

(٢) لعل أصلها قرن بالتحريك

الدولة السبأية

لم يعلم الوقت الذى تأسست فيه الدولة السبأية ولكنه قد ثبت أنهم انشأوا فى اليمن دولة كبرى جاء ذكرها فى أخبار أشور منقوشاً فى آجرة للملك (سرجون) الثانى سنة ٧٩٠ قبل الميلاد ذكر فيها أنه أخذ الجزية من (يثعمر) السبأى . فيدل هذا القول على وجود السبأيين فى بلاد العرب فى القرن الثامن قبل الميلاد . ولكن الراجح عند اليوم أن سرجيون لم يصل بفتوحه الى اليمن والظاهر أن السبأيين كانوا يدفعون الجزية عن تجارتهم فى شمال جزيرة العرب حتى يؤذن لهم بالمرور الى شواطىء البحر المتوسط وخصوصا الى غزة لأنها فرضة تجارية قديمة وقد اتسع ملكهم ولا يراد بسعة الملك انهم دوخوا البلاد كما فعل اليونان والرومان أو كما فعل العرب بعد الاسلام فان سبأ ليست دولة فتح بل هى دولة قوافل وتجارة ولا تجد للفتح ذكرا فى آثارها الا قليلا خلافا للاشوريين والمصريين معاصريها فانك لا تكاد تقرأ على آثارهم غير قولهم : فتحت ، وغلبت وحاربت ، المنهمة ، وأما السبائيون فأكثر ما وصل الينا من أخبارهم : هيت ، ووقفت وزخرفت وانما يراد بسعة ملكهم نشر نفوذهم بواسطة تجارتهم وذكرت مملكة سبأ فى التوراة أيام سليمان فى القرن التاسع قبل الميلاد . ويتضح من ذلك أنهم أقدم من مملكة سليمان ايضا

حضارة اليمن القديم

بعد ما تحقق أن دولة حرابى عربية علم أن العرب من أسبق الأمم الى الحضارة والمدنية لأنهم أنشأوا الدول وشادوا المدن ونظموا الحكومات وسنوا الشرائع وبنوا المدارس والهياكل ورقوا الهيئات الاجتماعية لترقية شأن المرأة منذ اربعة آلاف سنة

ونقتصر هنا على مدنية عرب اليمن . وقد رأيت أنهم كانوا أهل حضارة ودولة لا تقل عن دول معاصريهم فى أشور وفينيقية ومصر وابتنوا المدن وشادوا القصور والهياكل وتبسطوا فى العيش ، لكن تمدنهم لم يكن حربيا كتمدن الاشوريين والفرس والمصريين بل كان تجاريا كتمدن الفينيقيين فكانوا واسطة التجارة بين الشرق والغرب والشمال والجنوب فانقطعوا لاعمالهم وتفرغوا الاستثمار

أرضهم بغرس الشجر وزرع الحبوب وحفر المناجم واصطناع العطور والاطياب وركوب القوافل في القفار والسفن في البحار لنقل السلع وتوالت أجيال منهم كانوا هم وحدهم تجار العالم كاخوانهم الفينيقيين وقد تعاصروا حينا وتعاونوا على ذلك دهرا طويلا

على أن التمدن لم يرد له ذكر في كتب العرب الا قليلا وانما ذكره اليونان عن التاريخ القديم واكتشفه العلماء من آثار المدن وما قرأوه على اطلالهـا من اخبارها وقلما كانوا يعتنون بتنظيم الجند لقلة الحرب والفتوح وانما كانوا يجمعون الرجال في استخدامهم لبناء المدن أو القصور أو انشاء السدود وقد ضرب اليمانيون نقودا نقشوا عليها صور الملوك واسماءهم واسماء المدن التي ضربت فيها بالحرف المسند وزينوها برموز سياسية أو اجتماعية كصورة البوم أو الصقر او رأس الثور رمزا للزراعة أو صورة الهلال وهو رمز ديني عندهم . وكانوا يركبون المركبات تجرها الخيول أو الأفيال

كانت الأمة في اليمن مؤلفة من اربع طبقات الجند المسلح لحفظ النظام . والفلاحون لزراعة الأرض ، والصناع ، والتجار ، ولكل فئة حدود لا تتعداها ولا ينتقل أحد منها الى سواها

الصناعة

ليست جزيرة العرب بلادا صناعية وانما صناعتهم تحضير بعض أصناف التجارة والبخور واللبان والطيوب وغيرها وكان ذلك مشهورا عنهم بين الأمم القديمة لا يشاركهم فيه أحد

قال هيرودتس : وبلاد العرب فيها وحدها البخور والمر والقرفة والدارصيني واللاذن ، والعرب يجنون كل هذه الاشياء وبلاد العرب زكية الرائحة حيث ما مررت .

الزراعة

من يجب بلاد العرب ير أن بلاد المعينيين والسبأيين قد تغيرت معالمها

فيستغرب ما يسمعه عن ثروة تلك الأمم وسعة سلطانها اذ لا يرى فيها الا قليلا من الناس وكانت على عهد ذلك التمدن بساتين ورياضا فيها الاغراس من الاشجار والرياحين والحنطة والأزهار ، وكانت الزراعة في رقي حسن مع مشقة الري في بلاد لا أنهر فيها الا ما يخزنونه بالسدود من أمطار الصيف ، فبلغ من رغبتهم في العمران وعلو همتهم أنهم انشأوا سدودا كالجبال يحجزون بها المياه في الاودية حتى ترتفع ويسقون بها المرتفعات ويصرفون الماء اليها من نوافذ حسب الحاجة كما يفعل بخزانات هذه الايام ، فالعرب أول من اصطنع الخزانات وهي السدود وأعظمها سد « مأرب » وسنذكره .

وذكر « استرابون » أن بلاد سبأ أخصب بلاد العرب وعد من محصولاتها المر والبخور والقرنفل والبلسم وسائر العطريات فضلا عن النخيل والعناب

ووصف الهمداني « وادي ظهر » باليمن وقد شاهده فذكر أن فيه نهرا عظيما يسقي جنبات الوادي وعليها من الاعناب نحو عشرين نوعا وفيه أصناف الفواكه الاخرى

المعادن

التعدين أي استخراج المعادن من بطن الارض وقد اشتهرت بلاد العرب بمعادنها وجواهرها عند القدماء وان ظهر ذلك غريبا الآن لتقلب الاحوال وتحول الأزمان ولكن التاريخ أصدق شاهد على ما كان في جزيرة العرب من الثروة في جوفها فضلا عن سطحها كان فيها كثير من مناجم الذهب والفضة والحجارة الكريمة وكان ذلك من أهم أسباب طمع الفاتحين في ذلك العهد وقد شبهها بعضهم بكاليفورنيا هذا الزمان لكثرة مناجمها ، وأقدم هذه المناجم في بلاد « مدين » ولها شهرة واسعة في التاريخ القديم حتى ألف بعضهم كتبا في معادنها وذهبها . وذكر الهمداني في صفة جزيرة العرب وياقوت في معجم البلدان وغيرهما كثيرا من مناجم الذهب بعضها في اليمن والبعض الآخر في اليمامة . منها معدن (نحب) في ديار بني كلاب ، ومعدن « بيشا » ، ومعدن « قضاعة » في اليمن و « ذهب خولان » الوارد ذكره في التوراة باسم حويلة في اليمامة وكثير من المعادن خصص لها الهمداني فصلا سماه « معادن اليمامة » ، وهي معدن الحسن ، وهو معدن ذهب غزير ومعدن « الحفير » بناحية « عماية » وهو معدن ذهب غزير

أيضا ومعدن والضريب، عن يسار (عضب القليب) ومعدن (الثنية) ثنية ابن عاصم الباهلي ومعدن (العوسجة) ثم معدن (شمال الفضة والصفر) ومعدن (نياس) ومعدن (العقيق) ومعدن (الحجة) ومعدن (العمق) بين (أفيعيه) ومعدن (الهجيرة) ومعدن (بني سليم) ومعادن كثيرة أخرى

وقول العرب (معدن كذا) يراد به معدن الذهب الا اذا عرفوه بالفضة أو النحاس أو غيرهما. وفي بلاد العرب سوى مناجم الذهب مناجم الجواهر الاخرى كمعدن الفضة في (الرصاص) الذي لانظير له وفي (نقم) معدنا فصوص (البقراد) ويبلغ المثلث منها مالا كثيرا وهو أن يكون وجهه أحمر فوق عرق أبيض فوق عرق أسود والبقران ألوان ومعدنه بجبل (أنس) و(السحوانية) من سحوان واد جنب صنعاء وفيه أيضا فص أسود بعرق أبيض ومعدن (شبارة وعشان) من بلاد (حاشد)، والبلور يوجد في مواضع فيها وأشياء أخرى يطول شرحها وهذه الاشياء لايوجد لها نظير الا في بلاد الهند والهندي بعرق واحد وليس ثلاثة. دع مغاوص اللؤلؤ بالبحرين

الاسداد

الاسداد هي جدران ضخمة كانوا يقيمونها في عرض الاودية لحجز السيول ورفع المياه لري الاراضي كما يفعل أهل التمدن الحديث في بناء الخزانات وانما عمد العرب الى بناء الاسداد لقلة المياه في بلادهم مع رغبتهم في احياء زراعتهم فكثرت بكثرة الاودية حتى تجاوزت المئة وكانوا يسمون كل سد باسم خاص من أكبر هذه الاسداد سد (مأرب) و(ديوان) و(شحران) و(لحج) الخ

الحضارة

أهل اليمن حضر من أقدم أزمانهم فهم أهل مدن وقصور ورياش لبسوا الخز وافترشوا الحرير واقتنوا آنية الذهب والفضة واغترسوا الحدائق قال (أغاثرسيدس) وللسبأيين في منازلهم مايفوق التصديق من الآنية والماعون على اختلاف أشكالها من الفضة والذهب. وعندهم الاسرة والموائد من الفضة والرياش من أفخر الانسجة وأغلاها. وقصورهم قائمة على الاساطين المحلاة بالذهب أو المزانة بالفضة، ويعلقون على أفاريز منازلهم وأبوابها صفائح الذهب مرصعة بالجواهر ويبذلون في تزيين

قصورهم أموالا طائلة لكثرة ما يدخلون في زخرفها من الذهب والفضة والعاج والحجارة الكريمة

وذكر الهمداني في وصف قصر (كوكبان) في القرن الرابع الهجري انه كان مؤزر الخارج بالفضة وما فوقها حجارة بيضاء، وداخله ممرد بالمرمر والجزع ومسقوف بالجواهر

تاريخ البلاد العربية الحديث

قد لخصنا تاريخ البلاد العربية القديم على قدر ما يسمح به المقال والآن نبين حالتها الحاضرة وسبب انحطاطها فنقول :

إن ملوك اليمن اعتنقوا قديما الديانة اليهودية ونشروها في بلادهم فلما تنصر اباطرة الرومان البيزانطيين ونشروا ديانتهم في سورية ومصر وأرادوا أن يوسعوا نفوذهم بواسطة ديانتهم النصرانية أرسلوا الى الحبشة قسوسا فنصروها وأرادوا ان يمدوا نفوذهم الى بلاد العرب فنزلوا في عدن ونصروا أهاليها ثم تخطوا الى (نجران) و (حضرموت) ونصروهما وبنوا في نجران مزارا أو هيكلا عرف (بكعبة نجران) فيه القسيسون والرهبان وآلت حكومة (حمير) اليهودية في أوائل القرن السادس للميلاد الى ملك منهم اسمه (ذونواس) كان شديد التعصب لليهودية فغزا أهالي نجران فحصرهم ثم انه ظفر بهم فحفر لهم الاخاديد وعرض عليهم اليهودية فامتنعوا فأحرقهم بالنار وأحرق الانجيل وهدم بيعتهم ثم انصرف الى اليمن فلما بلغت هذه الاخبار ملك الروم أرسل الى ملك الحبشة وأمره أن يغزو أهالي اليمن وينتقم من اليهود فجهز لهم جيشا فخرجوا إلى اليمن وبعد معارك يطول شرحها انتصر الاحباش النصارى على اليهود وأفنوهم . وانفلت (سيف بن ذي يزن) وتوجه الى كسرى وهو من الاسرة المالكة فاستنجد كسرى فأمده بالرجال والمراكب وخرجوا في (صفار) . فلما سمع الاحباش بقدوم سيف بالفرس قابلوهم فوقعت معارك انهزمت فيها الاحباش فأفنوهم وأفنوا كل من تنصر من أهل اليمن ثم مات سيف بن ذي يزن وخلفه وال من قبل كسرى أنو شروان

وفي هذه المدة ظهرت الديانة الاسلامية وأسلم الوالي الفارسي وأهل اليمن الا

قليلا منهم بقي على اليهودية الى الآن فلما تولى عمر بن الخطاب (ص) الخلافة وأراد تجهيز لغز الروم والفرس أمر عماله في البلاد العربية أن يسوقوا كل من يقدر على حمل السلاح وكل من يحسن الخطابة والكتابة فصاروا يسوقون الامدادات متتابعة الى عهد دولة بني أمية ، من أجل ذلك وما تقدمه من حروب الاحباش والفرس خلت البلاد العربية من اليد العاملة وأهملت الزراعة وبناء الاسداد ، فهذا هو سبب الانحطاط

فبلاد العرب الآن تراجع اليها شيء من القوة حسب التناسل وعدد أهل الجزيرة الآن لا يقل عن ١٤ مليونا ولاهمال العلم والتعليم في الجزيرة وتنافس الأمراء فيما بينهم أهمل أمر الزراعة والصناعة

ويوجد الآن في الجزيرة خمس حكومات مستقلة في الحجاز ونجد واليمن وعسير ومسقط ، وبين أمراء هذه البلاد شيء من التنافس فلو قيض الله لقادة افكار العرب أن يسعوا في التوفيق بينهم على شرط أن يكون كل مستقلا في محله ويوحدوا سياستهم وجنديتهم كما هو حاصل في الولايات المتحدة أو في المانيه وينشروا المعارف في بلادهم ويعتنوا بالزراعة مع اعادة السدود كما كانت سابقا ويبحثوا عن المناجم ويعتنوا بزراعة القهوة التي لا يوجد مثلها في البلاد الاخرى فانها تجلب الربح العظيم للبلاد كالقطن بالنسبة لمصر وفي بلاد اليمن يزرع أنواع الحبوب والنخيل والفواكه

والحاصل أن البلاد العربية يمكن أن تسترجع قوتها عن قريب اذا قيض الله لها حكومة صالحة ولا يقوم بهذا الا السوريون فان سورية عند العرب هي العين التي يبصرون بها وسورية من الأراضي المقدسة والعرب يحترمون أهالي سورية ويجلونهم ، ولو عني السوريون بخدمة الجزيرة فنظموا هيأة لارشاد الأمة العربية بالنصح للتوفيق بين الامراء وازالة سوء التفاهم والحسد (لان وقتنا هذا وقت عمل وليس وقت مفاخرة وحسد) لوجدوا اذانا صاغية من أهالي البلاد لان العرب صاروا يشعرون بما هو محيط بهم ولو اجتهد السوريون لمد السكة الحديدية من المدينة الى صنعاء لارتباط البلاد والامن وتسهيل التجارة والانتقال لتم المقصود ؟

عبد الله المغيرة

تقرير لجنة مشيخة الازهر الشريف

المؤلفة لفحص مشروع تعميم التعليم الاولى

(٧) توجد تحت مراقبة الأزهر الشريف وبعض المعاهد الأخرى كتاتيب أساس التعليم فيها حفظ القرآن وتسمى تلك الكتاتيب التحضيريات لأنها تؤهل البنين الانتظام فى تلك المعاهد الدينية ويبلغ متوسط تلامذة تلك الكتاتيب ٢٥٠ وقد صرفت مشيخة الازهر فى العام الماضى مكافأة سنوية لالف تلميذ من الكتاتيب التابعة للازهر . وبلغ مجموع تلامذة التحضيريات التابعة لمشيخة معهد الاسكندرية ١١٠١ فى بعض السنين وفى استيلاء المشروع على تلك النسبة من مجموع أبناء الامة استيلاء على تلك التحضيريات التابعة للمعاهد أو محولها وصد الذين يريدون تعلم أبنائهم القرآن الكريم من العلماء وغيرهم

(٨) إن جميع الفوائد الخلقية والعقلية والتهذيبية والسياسية والاجتماعية الخ الخ التى أفاضت لجنة الوزارة فى بيانها وترتيبها على تعليم الطفل هى بنفسها مترتبة بدرجة مضاعفة جدا اذا كان أساس التعليم فى تلك المدارس الاوليه هو حفظ القرآن الكريم أو على الاقل حفظ نصفه وتعتقد اللجنة بحق أنه إذا بذلت الحكومة مجهودها فى هذا المشروع جاعلة نصب عينها حفظ القرآن الكريم والعناية بتعليم الديانة الاسلامية لابناء المسلمين تكون قد أنبتت الجيل المستقبل نباتا حسنا ورفعت الامة المصرية الى مكانها اللائق بها بين الشعوب الاسلامية وأعدت اليها من حيث أنها شعب اسلامى روحا عالية فى حياتها الادبية والاجتماعية بما تغرسه فى نفوس الابناء من المثل الاعلى التهذيب الاسلامى ولاجل أن تكون اللجنة غير مظنون بها أنها مدفوعة فى هذا القول بمحض الميل الدينى من غير نظر الى الاصلاح تستلفت اللجنة نظر الحكومة الى أن الاحداث المجرمين الذين تتزايد نسبتهم كل سنة حسب الاحصاء الرسمى لايكاد يوجد بينهم حدث ممن تعلموا فى مدارس القرآن

* تابع لما نشر فى ص ٣٦٢ من الجزء السابع

واستظهروا جانبا منه فكيف اذا انضم الى ذلك متممات الوسائل الاصلاحية التى يقتضيها المشروع .

ولا يفوت اللجنة أن تنوه هنا بأنه يوجد عدد غير قليل من رجال البلاد المعدودين لم يتعلموا إلا التعليم الأولى فى تلك المكاتب المعهودة وقد أفادهم حفظ القرآن فى فاتحة حياتهم تهذيبا فى الاخلاق وتنويرا فى العقل وتثقيفا فى الحكم

(أنظر آخر الفقرة ١٥ من تقرير لجنة الوزارة) (١) حتى صارت الحكومة

---

(١) نص الفقرة ١٥ « رأى اللورد كرومر فى الخطر السياسى » وقد أعرب اللورد كرومر بجلاء [illegible] عن الخطر السياسى الذى ينجم من ترك غمار الشعب بلا تعليم فقال فى كتابه « مصر الحديثة » الجزء الثانى صفحة ٥٣٤ ما يأتى :

« من المهم جدا من جميع الوجوه ان تبذل الحكومة جهدا متواصلا لوضع التعليم فى مصر على أساس مكين . [illegible] من الخرق بل من الخطر أن توجد هوة سحيقة بين تعليم [illegible] وتعليم جماعات الدنيا فى بلاد شرقية تسير حكومتها بارشاد أمة من أمم الغرب الديمقراطية [illegible] ولا نقصد بذلك حط منزلة التعليم العالى أو الوقوف فى طريقه ولكنا نقول اذا كان لا بد من ارخاء العنان له من غير أن تمس الحكومة بأذى فلا مناص من إزالة غشاوة الجهل من غمار الشعب حتى يتمشى [illegible] فيقفون على أزمة أموره وليس من الحكمة أو العدالة فى شىء أن يترك الشعب أعزل من تربية عقلية تحميه من وساوس أدعياء السياسة المتطفلين على موائدها الذين هم مع نقص تعليمهم لا يفترون عن القاء الهواجس والخزعبلات فى آذانه التى لا ترد قول قائل . وليس ثمة فى أوائل هذا القرن العشرين علاج عام ناجع يقى غائلة الادعياء الا تعليم من يقعون فريسة لحبائلهم من أبناء الامة تعليما يمكنهم على الأقل من ادراك ما يصدر من اولئك الدجالين من البهتان الذى كثيرا ما يسترونه بطلاء بلاغتهم وسفسطاتهم السياسية .

ولنا فى تاريخ روسية الحديث مثال وعبرة لما نجم عن هذه الحال من الاخطار التى انزلت بتلك البلاد فوجعت الآن منها أيما [illegible]

نعم ان التعليم البسيط قد لا يمكن الفلاح القروى من الوقوف على كنه المسائل السياسية العويصة والاحاطة بها ولكنه قد يكفى كما قال اللورد برايس (Lord Bryce) «١» [illegible] ما ارتآه من تأثيره فى الولايات المتحدة بامريكة ، لتثقيف قوة الحكم عنده حتى يستطيع تمييز الرجل العظيم من الدجال » ...

«١» من كتاب (الجمهورية الامريكية) «The American Commonwealth» الجزء الثانى صفحة ٢٥٢

والبلاد تعتمد عليهم فى كثير من شؤونها الادبية والاجتماعية خصوصا فى فض الخصومات وحل المشكلات وهذا أكبر ما ينتظره رجال الاصلاح من نتيجة ذلك المشروع فكيف اذا عنى بتعميم تلك المكاتب فى أنحاء القطر وزيد فى تنظيمها واصلاحها مع المحافظة على جعل أساس التعليم فيها هو حفظ القرآن الكريم كما هو الآن

(٩) إن بذل الحكومة المصرية عنايتها فى تعميم تعليم الشعب وتربيته على مبادئه الاسلامية بما فى ذلك من حفظ القرآن الكريم الذى اعتاده من ثلاثة عشر قرنا يدرأ عن الشعب أخطارا اجتماعية وأضرارا جمة أهلها تلك الفوضى الاخلاقية التى ينزع اليها النشء واتساع مسافة الخلف بينهم وبين آبائهم المحافظين على مبادئهم الدينية وبذلك يقع الاشقاق فى الاسرات ويترتب عليه الاضرار الاجتماعية التى لاحظتها لجنة الوزارة (فى الفقرة ١٧) (١) وليس هناك خطر أشق للمصلحة وأضر على الهيئة الاجتماعية من نشء يخرج على أمته وينسلخ من دينه بما يسمى الآن التعليم الحر أو حرية العقيدة وبما يثمره التعليم الاولى على أساس تلك المبادىء الاسلامية القضاء على حركة الجرائم والجنايات التى ضجت التقارير الرسمية من فشوها وزيادتها كل عام أو تخفيض نسبتها تخفيضا كبيرا على الاقل وتلك عقدة كبرى طالما بذلت الحكومة مجهودات جمة للحصول عليها وها نحن أولاء نرى الناس الذين يحفظون شيئا من القرآن يتناهون ويتواعظون فى أسواقهم ومعاملاتهم الاجتماعية والأدبية بقولهم هذا حرام وهذا حلال وقال الله وقال الرسول فاذا بطل هذا ببطلان حفظ القرآن

(١) نص الفقرة ١٧ «الاشقاق فى الاسر» ومن النتائج الوخيمة التى نشأت من عدم تكافؤ أفراد الأمة فى التعليم الانقسام الذى يشاهد فى الأسر المصرية . فان الاميين من الآباء الموسرين كثيرا ما يرسلون أبناءهم الى المدارس الابتدائية والثانوية فتكون العاقبة أن الأبناء لا يمضى عليهم زمن طويل بها حتى تنزع نفوسهم الى ازدراء أهليهم الجهلة وحتى يبطروا فى عيشتهم المنزلية البعيدة عن النظام ويطرحوا عن عواتقهم ما للآباء عليهم من السلطان والنفوذ ويدب فيهم روح السخط والاستياء والعقوق ولا مراء فى أن ضعف النفوذ الابوى على شبان البلاد بهذه المثابة يعود على الأمة بالاضرار الاجتماعية الجمة ولكن ما الحيلة والواجب يقضى بأن يبذل الآباء كل وسع فى تعليم أبنائهم أرقى تعليم يستطيعونه ؟ فلم يبق إذن من الوسائل التى تكفل درء هذا الشر الا أن يعمم التعليم حتى لا يصل الفرق بين الابناء والآباء الى الحد الذى وصفناه

من الكفاءة ضاعت الامانة وفسد الامن وفاض الغش والنفاق بين الافراد بعضهم مع بعض وبين الافراد وحكومتهم ووقعت الحكومة فى سائر فروعها الادارية والاقتصادية والسياسية فى مشكلات من الامور لاتتناهى فكل مايقال عن فوائد تعميم تعليم الشعب لايكون صحيحا وافيا بالغرض الا بشرط كون التعليم على المبادىء الاسلامية بدا لمكة قد ت طبيعة الشعب المصرى الذى له ثلاثة عشر قرنا فى الاسلام وعلى ذلك دلت التجربة فى تربيته

(١٠) ان من القواعد الهامة التى تترتب على جعل حفظ القرآن أساسيا فى التعليم الاولى تمرين النشء على النطق الصحيح وضبط الالفاظ العربية تمرينا فعليا فهو من جهة أخرى خدمة كبرى للغة العربية ولاسيما أنها لغة البلاد الرسمية .

(١١) نص قانون الازهر والمعاهد الدينية (بالمادة ١٣٩) على أن المجلس الاعلى للأزهر والمعاهد الدينية هو المختص بوضع لائحة نظام ادارة المكاتب التحضيرية التابعة للمعاهد الدينية ، والكتاتيب . والمشروع يقضى صريحا بأخذ هذا الحق جملة من سلطة المعاهد الدينية ورفع يدها عن تلك المكاتب الدينية بمحوها أو صبغها بصبغة أخرى

(١٢) وتختم اللجنة قولها بابداء النتيجة التى تراها فى الموضوع وهو أن يجعل من مواد التعليم الاساسية فى هذه المدارس حفظ القرآن الكريم وترى اللجنة لضمان حراسة هذا الشعار الاسلامى فى تلك المدارس الاولية وجوب اشتراك رياسة المعاهد الدينية فى وضع منهج الدراسة لها ومراقبة سير التعليم فيها ولا غضاضة فى ذلك على الوزارة فقد جاء فى تقرير لجنتها أن حكومة بلجيكا بعد طرق شتى رأت أن الاوفق جعل التعليم الدينى فى مدارسها اجباريا تحت مراقبة الكنيسة ومعلوم ان تعليم الديانة فى القطر المصرى يبتدىء للبنين فى حفظ القرآن الكريم

وتنوه اللجنة هنا بمنهج التعليم الذى أقره المجلس العالى للمعاهد الدينية بجلسة ٢٥ مارس سنة ١٩٠٥ للتحضيرات التابعة لمعهد الاسكندرية ومقدار أثرها الجليل فى مدة وجيزة واقبال الشعب عليه حتى طلب أصحاب المدارس الاهلية فى تلك المدينة الاندماج فى نظام تلك التحضيرات ودخلوا طوعا تحت مراقبة مشيخة المعهد وأتت تلك التحضيرات بالنتيجة الهامة ولم تكن فائدتها قاصرة على مجرد التأهيل للالتحاق بالمعهد بل نفعت الذين اقتصروا عليها واشتغلوا بأشغال عمومية وذلك لما تعلمه تلك

التحضيرات مع حفظ القرآن الكريم من المواد الهامة النافعة فى الحياة العملية كالخط والحساب والجغرافيا واللغة العربية وقواعد الصحة وعلم الاشياء وقد نصحت مشيخة المعهد كثيرا فى تقاريرها الرسمية أن يحذو أصحاب المكاتب والمدارس الأهلية فى انحاء القطر المصرى على هذا المنهج الذى دلت التجربة على نجاحه فضلا عن ملاءمته لطبيعة الشعب المصرى وميول الآباء، ونادت المشيخة المذكورة أولى الشأن الذين يعنون بمصلحة التربية والتعليم أن يأخذوا بيد هذا النوع من التعليم ويقضوا على الأمية والجهل حتى ينهضوا بالبلاد الى ما تستحقه من الرقى والكمال

وتبدى اللجنة بمناسبة هذا الموضوع ملاحظتها على وزارة الأوقاف فى تلك المبالغ الهائلة التى تدفعها سنويا الى وزارة المعارف العمومية لتديرها كتاتيبها ومعلوم أن تلك المبالغ انما هى من ريع الاوقاف المرصودة على حفظ القرآن الكريم ولكن وزارة المعارف لم تعر ذلك اهتماما لأن اختصاصها هو احياء المعارف العمومية وليس لها اختصاص بالشؤون الدينية اختصاص المكاتب بالشيء المسؤول عنه بدليل أن أكثر ما صنعته فى منهج الدراسة الذى وضعته لتلك المكاتب سنة ١٩١٦ فيما يختص بمادة القرآن قولها عند مقرر كل سنة «يحفظ من القرآن ما يمكن» و «الاستمرار على حفظ ما يمكن من القرآن» بينما هى تبسط القول فى التشديد والعناية بالمواد الاخرى

واذا كان هذا تساهل منهج الدراسة فى القرآن فكيف يكون تساهل المعلمين فيه، وهل يمكن بعد ذلك القول بأنه يوجد فى تلك المكاتب من يحفظ جزءا واحدا من القرآن فضلا عن حفظ جميعه الذى وقفت عليه تلك الاوقاف

هذا ما عن لنا والله يوفق الأمة الى ما فيه الخير والصلاح وتفضلوا يا اصحاب الفضيلة بقبول فائق احترامنا   توقيع أعضاء اللجنة

محمد احمد الطوخى   محمود أبو دقيقة   محمد على خلف الحسينى

يوسف احمد نصر الدجوى   محمد عبد السلام القبانى

(تمت)

الرحلة السورية الثانية

— ٢ —

لما عقدت الهدنة بين دول الاحلاف والدولة الالمانية منى نفسه كل من له أهل في سورية وكل من يهتم بشؤونها الاقتصادية والسياسية أن يسافر اليها في أول فرصة وصاروا ينتظرون الاذن بالسفر اليها وعودة البواخر التي تنقل الركاب وعروض التجارة الى سابق عهدها

وبعد طول الانتظار وقع الاذن مقيدا بشروط عسيرة ومقيدا بقيود ثقيلة زمامها بأيدى السلطة العسكرية المتصرفة في الشؤون السياسية والاقتصادية في العالم تصرفا مطلقا والمراقبة على مواصلات البر والبحر فكان مثلي لا يطمع أن يكون من السابقين الى رؤية وطنه والقيام بشيء من خدمته أو مواساة أهله فيه وعشيرته . بل تعذر على ايصال ثلاثة (طرود) من الأقمشة الى فقراء أهل بلدتي (القلمون) الذين ذهب الجوع والعرى في ايام الحرب بكثيرهم ، فاني بعد أن ابتعت القماش ظللت عدة أشهر اسعى الى ارساله باذن من السلطة الفرنسية التي اعطيت الاشراف على المواصلات والنقل في البحر مع بقاء السلطة العليا في البر والبحر للسلطة الانكليزية بحق القيادة العليا للجيوش المحاربة في سورية الجنوبية (فلسطين) والشمالية ، ثم بواسطة لجنة المجاعة التي ارسلت بمساعدة السلطة الانكليزية كثيرا من المواد الغذائية والاقمشة وبعد اعطائي الطرود للجمعية بأشهر تمكنت هي من ارسالها الى وكيلها في بيروت فبقيت فيها اشهرا ثم أرسل بعضها الى طرابلس ففقد بعضه ولم يصل باقيها الا بعد وصولي اليها في خريف العام الماضي ، فكان ما اردت ان يكسى به الفقراء في شتاء سنة ١٩١٩ كساء لهم في شتاء السنة التي بعدها

احتلت جيوش الأحلاف جميع البلاد السورية وطفقوا يمهدون السبل لتوطيد نفوذهم وسلطانهم فيها على قواعد معاهدة سنة ١٩١٦ — الانكليز في الجنوب

---

* تابع لما نشر في الجزء السابع ص ٣٧٧

والفرنسيس في الغرب الشمالي والعرب الحجازيون في الشرق منه ولكن مراقبة المواصلات بين سورية وبين مصر وسائر الاقطار كانت مشتركة بين الفرنسيس محتلي المنطقة الغربية والانكليز محتلي المنطقة الجنوبية وحدهم والمشاركين للعرب والفرنسيس في احتلال المنطقتين الآخرين ، ولم يكن للعرب من هذه المراقبة شيء فم يكن لي أن أزور البلاد بنفوذهم بل كتب إلى علي رضا باشا حاكم المنطقة الشرقية العسكري كتابا ذكر فيه أنهم ينتظرون قدومي كانتظار الظمآن الماء وأنه طلبني وهو يتعجب من عدم استجابتي . فكتبت اليه أنه لم يبلغني ما ذكر من طلبهم إياي وان أمر سفري ليس بيدي . ثم أخبرني بعد لقائه في الشام أنه طلبني خمس مرات ...

اني لم أطمع في الأذن لي بزيارة سورية لاجل استفتاء اللجنة الأميركانية أهل سورية في شكل الحكومة التي يرضونها لبلادهم والدولة التي يختارونها لمساعدتهم وعة هذا ظاهرة لا يحتاج الى بيان فلما سنحت الفرصة بعد هذا الاستفتاء واظهار الشعب رأيه سعيت الى حد الخروج من مصر الى الشام عن طريق سينا وفلسطين فيسر لي مع المساعدات أحد هذه الخروج في مدة ثمانية عشر يوما بعد أخذ عهد كتابي على أمور سلبية ترجع الى أمر واحد وهو عدم القيام بتهييج سياسي

السفر من القاهرة

سافرت من القاهرة مساء الجمعة السابع عشر من شهر ذي الحجة ختام سنة ١٣٣٧ (الموافق ١٢ سبتمبر أيلول سنة ١٩١٩) ولما جئت محطة السكة الحديدية وجدت فيها صديقي رفيق بك العظم جاء ليودعني فيمن جاء من الأصدقاء فأخبرني أنه قد جاءت رقية من دمشق تنبيء أن الامير فيصلا ، ملك سورية اليوم قد سافر من الشام عن طريق حيفا ليسافر منها الى أوربة فساءني ذلك جد الاستياء لان لقاء الامير في ذلك الوقت كان هو المرجع الأول لسفري الى دمشق مباشرة دون بيروت وطرابلس ، ولعله لو أخبرني بذلك قبل شروعي في السفر لارجأته ولكن إبطال العمل بعد الشروع فيه مفسد للعزيمة مضعف للارادة وقد

قال تعالى لرسوله (فاذا عزمت فتوكل على الله) وقال عز وجل (لا تبطلوا أعمالكم)

ركبت القطار السريع فسار باسم الله في الساعة ٦ والدقيقة ٥ فوصل الى محطة القنطرة الساعة ١٠ والدقيقة . أي بعد أربع ساعات تقريبا وهنالك نقل الحمالون متاعنا الى حيث تنظر الجوازات وبعد التوقيع عليها ينقل المسافرون ومتاعهم في سيارات نقل تجتاز الجسر الذي وضع هنالك على ترعة السويس الى موقف قطار سيناء وفلسطين في الضفة الشرقية ، وقد علمت أن خط مصر اتصل بعد ذلك بخط فلسطين فاستراح المسافرون من ذلك النقل المزعج . وصلت الى محطة فلسطين فاذا بديع افندي الحوراني ضابط قلم الخارات ينتظرني فيها لأجل مساعدتي فتولى هو أخذ تذكرة السفر لي بالدرجة الاولى ووضعني في مركبة ليس فيها زحام ، وهو نجل ابراهيم الحوراني العالم الاديب البيروتي الشهير فما رأيته فيه من المروءة والادب يجري فيه على عرق راسخ وراثة ثقفت بالتربية والتعليم ، وعلمت منه أنه كان يتوقع حضوري يوم الخميس في القطار الذي يقوم من القاهرة الساعة ١١ قبل الظهر

لم يكن السفر في الدرجة الاولى من قطارات هذه السكة بالامر اليسير وكنت علمت ذلك بما كتبه سليم افندي سركيس الكاتب الشهير في جريدة الاهرام عن رحلته قبيل الى الشام ، فانه ذكر أنه أخذ تذكرة للركوب في الدرجة الاولى فأركبوه في الدرجة الثالثة لحاجة الضباط الانكليز الى الدرجة الاولى والثانية لذلك سعيت الى توصية من السلطة العسكرية الانكليزية بأن أركب في الدرجة الاولى فعلا فنلتها ونفذها الحوراني أحسن الله مكافأته . وثمن هذه التذكرة ٨٢ قرشا مصريا صحيحا يركب بها المسافر الى نهاية الخط وهو مدينة حيفا

سافر بنا القطار الساعة ١١ والدقيقة ٥ وكان سيره بطيئا ووقوفه كثيرا وعلمنا في الصباح أنه تأخر ساعتين عن موعده . وفي ضحوة النهار (السبت) وقف تجاه مدينة غزة الشهيرة التي أحدثت فيها الحرب خرابا عظيما ووصل الى (اللد) الساعة ٨ والدقيقة ٥ وسار منها الساعة ٩ وبضع دقائق فوصل الى حيفا الساعة ١٢ والدقيقة ٥ نهارا ، فاذا كان القطار تأخر ساعتين كما قيل تكون مسافة سيناء وفلسطين الى

حيفا تسع ساعات وثلث ساعة . وهذا الخط قد أنشأته السلطة العسكرية في أثناء الحرب بسرعة عجيبة اقتضتها الضرورة فلم يكن متقنا وقد علمت أنه يحتاج الى اصلاح يكون به الخط أقوم وأقصر

قطعنا نصف نهار يطوى بنا القطار أغوار سورية الجنوبية (فلسطين) وأنجادها فلم نر شيئا من أرضها يدل على العناية الفنية في انشاء البساتين والكروم الا ما في مزارع اليهود الصهيونيين . ورأينا ما مررنا به من الزيتون خاليا من الحب لان موسمه في السنة الماضية كان عظيما

السفر من حيفا بسكة الحديد الحجازية

انتقلنا عقب وصولنا الى حيفا من قطار سينا وفلسطين الى قطار سكة الحديد الحجازية ومركباته أحسن من مركبات ذاك وأخذ بعض الحمالين لى تذكرة السفر منها الى (معان) في الدرجة الاولى بمائة قرش وستة قروش مصرية صحيحة وتحرك القطار الساعة ١٢ والدقيقة ٣٥ فوصلنا الى طربة س ٣ ق ١٥ ، وبعد تجاوزها صار سيره في أودية يهبطها وجبال يتسلقها ولا يمر الا بها مرارا لسوء الوقود وخلل الآلات وليس في مركباته مصابيح فكنا أول الليل في ظلام ثم طلع القمر فآنسنا به ووصل القطار الى معان س ١٢ ق ٣٠ ، فكانت المسافة ١٢ ساعة وقد قيل لنا انه تأخر عن موعده ساعتين كسابقه

وفى محطة معان مطعم كبير للمسافرين والقطار يمكث فيها ريثما يتعشى من شاء من المسافرين ويأخذ القطار طعامه وشرابه من الفحم والماء وقد مكثنا نصف ساعة أو أكثر تعشينا فيها ثم استأنفنا السير الى دمشق فبلغناها س ٢ وق ٢٠ ، أى قبل الفجر بقليل

دمشق وفنادقها

بعد وصولنا الى محطة دمشق ببضع دقائق كنا في فندق « فيكتوريا » وهو أقرب الفنادق الى المحطة وأشهرها وأعلاها أجرة فلم أجد فيه غير حجرة في الدور الأول لا يتخللها الهواء ولا النور ، أبيتها فوعدت بتبديلها في النهار وسألت الخدم عن حمام الفندق فقيل أنه ليس فيه حمام ولا رشاش ماء « دوش » ولا حنفية ماء

لغسل اليدين والرأس فغسلت رأسي في طشت الحجرة وتوضأت وصليت المغرب والعشاء جمع تأخير ونمت ما بقي من الليل

ولما أصبحت استنجزت الوعد بتغيير الحجرة فلم أجد حجرة صحية بل قيل لي إن بعض النازلين فيها سيسافرون فتخلو حجرهم ، ولما حضر طعام الغداء والعشاء وجدت الماء على المائدة غير مثلوج فسألت ألا يوجد في الشام ثلج؟ قيل لي ان فيها ثلجا وجليدا طبيعيا صناعيا ولكن صاحب الفندق منع استعماله اقتصادا فعزمت على الخروج من هذا الفندق بعد ويقأشر الفنادق الكبرى واختيار أمثلها ولكنني لم أستطع الخروج في اليوم الأول لأن بعض من رآني أخبر غيره بأني جئت الشام ونزلت في (فيكتوريا) فجاء كثير من الوجهاء لزيارتي وفي اليوم الثاني كان الزائرون أكثر ولكنني انتهزت فرصة طفت فيها على الفنادق القريبة فرأيت أمثلها فندق الشرق (أوالخوام) الملاصق لفندق فيكتوريا فانتقلت اليه وفضلته بوجود مكان فيه للاستحمام ووجود الماء في بعض مراحيضه ووجود باحة خلوية في وسطها بركة ماء ووجود الماء المثلوج فيه وأي المزايا خير من مزايا الماء والهواء ؟ نعم إن فندق فيكتوريا - ومثله فندق دمسكوس بلاس - أدفأ في الشتاء من فندق الخوام ، والاول أنظف ولكن القيود فيه أشد وأثقل

الزيارات وردها وأحاديثها

زارني من لا أحصي من رجال الحكومة والعلماء والادباء والوجهاء فمنهم من عرفتهم بشخوصهم أو مناصبهم ومنهم من لم أعرف وما كان رد الزيارة لكل منهم ممكنا وليس عند أهل الشام من التسامح والتساهل في هذا الامر ما عند أهل مصر وأهل بيروت، فاكتفيت برد الزيارة الى الحاكم العسكري العام والقاضي والمفتي وبعض العلماء والوجهاء الذين عرفتهم كمحمد فوزي باشا العظم وعبد القادر باشا المؤيد واعتذرت للآخرين في الجرائد مع الشكر لهم وأما خواص اخواننا وأصدقائنا فقد جمعتنا بهم المآدب والسمار في مجالس حافلة من دورهم العامرة كدار الاستاذ الشيخ كامل قصاب ودار البيطار ودار المارديني وغيرها ، وكان جل حديثنا في تلك المجالس البحث في أهم المسائل الدينية والعلمية والاجتماعية وقد عودني الناس من أول العهد

بدخولي في الحياة العلمية الى اليوم أن يسألوني عن المشكلات الدينية ولاسيما المسائل التي يتعارض فيها الدين مع العلوم والفنون وشؤون العمران . وقد كان حظي من هذا في رحلتي هذه على ماأعهد في سائر البلاد ولكن أكثر مباحث الناس معي في هذه الرحلة كان في المسائل السياسية ماهو واقع منها وما يتوقع

معاهدة سنة ١٩١٦

اتفق ان أعلن كل من دولتي انكلترة وفرنسة عقب وصولي الى الشام انهما اتفقتا نهائيا على تنفيذ معاهدة (سايكس وبيكو) المعروفة بمعاهدة ١٩١٦ وأن انكلتره ستخرج جنودها من المنطقتين الشرقية والغربية من سورية وتترك الاولى للجيش العربي الحجازي والثانية للجيش الفرنسي ، وماكان حلها للامير فيصل على السفر الى أوربة في هذه المرة الا تمهيد لهذا العمل

وكان أهل سورية عامة يظنون قبل هذا الاعلان أن الدولتين الحليفتين قد عدلتا عن تنفيذ تلك المعاهدة لما رأوه من التنازع بين رجالهما في التعوذ أيام وجود اللجنة الامريكية في سورية وسعي كل منهما في كل منطقة من المناطق الثلاث لكسب أصوات الاهالي في طلب انتدابهم لمساعدة البلاد أي لاستعمارها بهذا الاسم الجديد الذي وضع في قاموس السياسة بعد العلم بنفور الناس كافة من الاسماء الاخرى التي ابتذلت وزال انخداع الناس بها كلفظ الحماية والاحتلال الموقت ، فلما أعلنت الدولتان اتفاقهما كبر وقعه وعظم صدعه في قلوب الجماهير الذين خدعوا بذلك التنازع ، وظنوا أن انكلترة تفضل العرب على فرنسة فكان كل من زارني منهم يسألني عن رأيي في هذا الحدث الجديد في السياسة الانكليزية فكنت أقول انكم ترونه جديدا وأراه غير جديد ، إن السياسة الانكليزية ثابتة وماكان لعاقل ان يظن انها تفضل العرب على فرنسة ، وانما عرض لفرنسة أمل جديد أحدثه اجماع السوريين في بلادهم وفي مهاجرهم كلها على وحدة سورية وعدم تقسيمها الى ثلاث مناطق مختلفة الادارة والسلطة فحسبت انه يمكنها جعل هذا وسيلة لاعطائهم سورية كلها

باب التاريخ

استقلال سورية والعراق

انتهت الحرب العامة الطامة باحتلال جنود الاحلاف من العرب والانكليز والفرنسيس لسورية وجعلها ثلاث مناطق : جنوبية وهي متصرفية القدس الممتازة ومتصرفيتي نابلس وعكا من ولاية بيروت ، واطلقوا عليها اسم فلسطين ، وشرقية وهي ولايتا الشام وحلب ما عدا سواحلها ثم أضيفت اليها متصرفية الزور الممتازة وغربية وهي بقية ولاية بيروت ومتصرفية لبنان الممتازة ، واسكندرونة ، وانطاكية

ولما كانت القيادة العليا لجيوش هؤلاء الاحلاف في سورية للانكليز احتلوا المنطقة الجنوبية وحدهم ، وشاركوا العرب في احتلال المنطقة الشرقية والفرنسيس في هذه المنطقة الغربية والشمالية ولكنهم تركوا لكل منهما ادارة منطقته فلم يكونوا يتدخلون في أمرها إلا عند الحاجة لما للقيادة العليا من حق الاشراف ثم لما اتفقوا مع فرنسة على تنفيذ معاهدة سنة ١٩١٦ المشهورة نهائيا اجلوا جنودهم من هاتين المنطقتين وتركوا للجيش العربي الذي يقوده الامير فيصل السيطرة التامة في منطقته والجيش الفرنسي السيطرة التامة في منطقته

وكانوا قبيل اعلان هذا الاتفاق واجلاء الجنود الذي ترتب عليه قد طلبوا الامير فيصلا الى أوربة لاجل الاتفاق معه على تنفيذ معاهدة سنة ١٩١٦ فمكث بضعة أشهر في انكلترة وفرنسة ثم عاد الى سورية ليوقف زعماء البلاد وممثليها على نتيجة ما وقف عليه ويستشيرهم في ما يجب أن يكون عليه حكمها وينتهي اليه مصيرها ليعود الى أوروبة ويقرره مع حلفائه وبعد مباحثات طويلة سرية وجهرية استقر الرأي على اعلان استقلال القطرين السوري والعراق وأن يتولى ذلك المؤتمر الذي سبق تأسيسه لكل منهما في ما بينهما بالتعاون

فأما المؤتمر العراقي فأعضاؤه في دمشق حيث تأسس وأما المؤتمر السوري فكان أعضاؤه المنتخبون من المناطق الثلاث قد تفرقوا في البلاد بعد اجتماعهم

الاول لمقابلة اللجنة الامريكية وإعلامها برأى الامة السورية فى أمر حكمها وهو الاستقلال التام الناجز ورفض كل حماية ووصاية أجنبية وترجيح طلب المساعدة الفنية التى لا تمس الاستقلال من الولايات الامريكية المتحدة . ثم اجتمع أكثرهم مرة ثانية للحفاوة بالامير فيصل عند عودته المرة الاولى من أوربة مبشرا البلاد بأنه تقرر فيها مبدئيا أن تكون البلاد مستقلة استقلالا تاماوراغبا اليهم أن يوكلوه فى تقرير مصيرها وكالة مطلقة . فتقرر جمع المؤتمر ليوقفه الاميرعلى مايعلم من كنه الحالة العامة ويترك له حق تقرير ما يراه باسم الامةالسورية

كان لحزب الاستقلال العربى أجل السعى لهذا المشروع الجليل وكان فى هذه الاثناء يعقد الاجتماعات كل ليلة للبحث فى مقدمات اعلان الاستقلال وعمل المؤتمر وما يعده له من الوسائل وفى تأليف الحكومة الاولى التى سيقررها ويعلنها .

ولما اجتمع أكثر أعضاء المؤتمر قرر ان يعقد جلساته فى النادى العربى وحضر الامير فيصل جلسته الاولى ومعه أركان حكومته وألقى الخطاب التالى على مندوبى الامة ومن حضر الجلسة من كبار رجال العاصمة وغيرهم

خطاب سمو الأمير

« أيها السادة !

« فى الوقت الذى قرب فيه حل المسألة التركية حلا نهائيا فى مؤتمر الصلح رأيت أن أدعوكم مرة أخرى لتقرير مصير البلاد حسب رغائب الاهلين الذين رأوا فيكم الكفاءة للنيابة عنهم فى مثل هذا الوقت العصيب.

« فقد وعد مؤتمر السلم أن ينظر فى رغبة الشعوب بل حتم على نفسه بأن يقرر مستقبل كل أمة حسب ارادتها ورغائبها تحقيقا للمبادىء السامية التى خاض لأجلها الحلفاء غمار الحرب العظمى

« فالرئيس ولسن ذكر في خطابه في (مونفرنون) في ٤ تموز سنة ١٩١٨ المادة الآتية : —

« كل مسألة أرضية كانت أو سياسة او اقتصادية أو دولية يجب أن تحسم على موجب الاساسات المستندة الى حرية قبول الشعب ذى العلاقة رأساً بتلك المسألة لا الى القواعد النفعية المادية او المصالح التى يتطلبها شعب او امة اخرى لاجل تأمين نفوذها الخارجى أو سيادتها »

« وقد ذكر جميع رؤساء الحكومات المتحالفة اقوالا لاتقل فى معانى استقلال الشعوب عن أقوال الرئيس ولسن فى هذا الصدد ، ونشرت حليفتانا انكلترا وفرنسا منشورا فى ٧ تشرين ١٩١٨ اكدتا فيه استقلال بلاد العرب المنشود

أيها السادة — لما كانت هذه الحرب حرب حرية واستقلال ، حربا جاهدت فيها الامم ذبّاً عن كيانها السياسى ، دخل فيها صاحب الجلالة والدى المعظم فى صفوف الحلفاء بعد ان استوثق من العرب فى الجزيرة وفى سورية وفى العراق فقاتلوا قتالا شهد لهم فيه اعاظم رجال أوربا السياسيين والعسكريين وأثنوا على شجاعتهم وبسالتهم غاية الثناء ؛ ولا بد ان يحفظ التاريخ أعمالهم الجليلة فى إبان الحرب التى اسهمت فيها الحجازى والسورى والعراقى . وانى واثق بأن الامة العربية ستنال من المغنم مانالهغيرها من حلفائنا الذين نالوا الظفر على الاعداء

« ان هذا الظفر لم يكن عسكريا فقط بل هو سياسى قبل كل شيء ، لانه ظفر الحق على القوة والحرية على الاستبداد فقد انتشرت اليوم فكرة الاستقلال بين الشعوب ونقشت على افئدتهم فلن تزول بعد الآن .

«استحق العرب حريتهم واستقلالهم بفضل الدم الطاهر الذى سفكوه وبفضل ماقاسوه من أنواع العذاب والقهر . فالامة العربية لاتقبل اليوم ان تستعبد كما انى اعتقد انه ليس هنالك أمة تريد استعبادها . فرحلاتي الرسمية العديدة الى أوربا والاحاديث والكتابات التى جرت بينى وبين ساستهم لم تبق فى نفسى مجالا للشبهة والتردد فى نواياحكومانها الحسنة .

« أيها السادة — اننا لانطلب من أوربا أن تمنحنا ماليس لنا به حق بل نطلب منها ان تصدق على حقنا الصريح الذى اعترفت لنا به كأمة حية تريد حياة حرة واستقلالا تاما ، ونود ان نعيش مع سائر الامم المتمدنة على غاية من الولاء والمحبة الخالصة . فسياستنا فى المستقبل ستكون سياسة صلح وسلم مبنية على الثقة المتقابلة والمنافع المتبادلة . وبكلمة واحدة سياسة تتفق مع مصالح الامة ومنفعة السلم العام . فالعرب لايستنكفون عن تبادل المنافع بينهم وبين الامم المتمدنة ولا يرفضون صداقة من يريد صداقتهم على شريطة أن لا يمس ذلك بكرامتهم ولا يخل باستقلالهم السياسى التام

أيها السادة — ان وظيفتكم اليوم عظيمة ومهمتكم كبيرة ، فأوربا تنظر إلينا عن كثب وستحكم لنا أو علينا بالنسبة الى الخطة السياسية التى سنسير عليها والأعمال التى سنقوم بها فى المستقبل فدولتنا الجديدة التى قام أساسها على وطنية أبنائها الكرام هى فى حاجة اليوم إلى تقرير شكلها أولا ووضع دستور لها يعين لكل منا — آمرنا ومأمورنا — حقوقه ووظائفه فى حياتنا المستقبلة التى أرجو أن يكون ملؤها الجد والعمل والاقدام .

وقبل أن أختم كلامى فى هذه الجلسة الخالدة أريد أن أذكر كم باخوانكم العراقيين الذين جاهدوا معكم وأبلوا بلاء حسنا فى سبيل الوطن وبالواجب

الذى يتحتم علينا فى أمر التضامن والتعاضد لنعيش حياة سعيدة قوية
واقرؤكم السلام العربي الخالص متمنيا لكم التوفيق والنجاح فى
مساعيكم الوطنية والسلام عليكم . » اه

وبعد أن انتهت الخطبة حيا الامير المؤتمر وحثه على العمل بما تقضى به الحال من الجد والنشاط ثم انصرف بين التصفيق والهتاف وكان خبر افتتاح المؤتمر قد انتشر فى أنحاء العاصمة فادركت الامة ان ساعة تقرير المصير قد أزفت فقامت بمظاهرة عظيمة امام المؤتمر طالبة الوحدة والاستقلال التام . وقد أرسل المتظاهرون باسم الامة كتابا الى المؤتمر تلاه الكاتب العام على الأعضاء وجاء فيه ما خلاصته :

« ان الامة صاحبة الكلمة الاولى فى تقرير مصيرها تطلب من المؤتمر الذى يمثلها فى هذه الساعة العصيبة ان يعلن استقلال البلاد بحدودها الطبيعية استقلالا تاما وأن يأخذ على عاتقه تبعة الدفاع عنها ويشرف على تأليف حكومة دمقراطية مسؤلة أمامه ريثما تتم الانتخابات العامة لمجلس النواب واذا شاء أن يعلن سمو الأمير فيصل المعظم ملكا على البلاد فليعلنه ملكا دستوريا دمقراطيا عادلا » — الى غير ذلك من المطالب والاقتراحات »

ثم ان الاعضاء انتخبوا الرئيس الدائم وأعضاء ديوان الرياسة للمؤتمر وكانت الجلسة الاولى برياسة رئيس مؤقت فكان الرئيس هاشم بك الاتاسى . ثم ألفت لجنة لوضع رد على خطاب الامير . ولم يحضر كاتب هذه السطور الجلسة الاولى إذ كان قبلها بأيام زار مدينة بيروت وفى أثناء زيارته لها انتخبه أهلها نائبا عنهم فى المؤتمر انتخابا قانونيا وعاد الى العاصمة مع أكثر مندوبى بيروت فى يوم الاحد ١٧ جمادى الآخرة وحضر الجلسة التى عقدت فى مسائه فقرئت فيها مضبطة انتخابه وقبلت واشترك فى المناقشة فى الرد على خطاب الامير وتقريره وهذا نصه :

رد المؤتمر على خطاب الامير

« يا سمو الامير المعظم ! » بكل فخر وابتهاج سمع المؤتمر السورى العام الممثل للامة السورية خطاب سموكم الملكى الذى شرحتم به الغاية النبيلة وأبنتم موقف البلاد تجاه الازمات الحاضرة وأعربتم عن حسن نية الحلفاء وأقطاب السياسة إزاء استقلال البلاد العربية عامة وسورية خاصة استنادا الى عهودهم ووعودهم

« ان الأمة العربية فى الاوطان والمهاجر ياسمو الامير لم تقم جمعياتها وأحزابها السياسية فيزمن الترك مواصلة الجهادالسياسى، ولم ترق دم شهدائها الاحرار . وتثر على الحكومة التركية الا طلبا للاستقلال التام والحياة الحرة بصفتها أمة ذات كيان سياسى ومدنية خالدة وقومية خاصة لها الحق فى ان تحكم نفسها بنفسها وقد دخلت الحرب العامة فى جانب الحلفاء استنادا الىعهودهم المقطوعة لجلالة الملك والدكم المعظم والوعود الرسمية السياسية التى جاهر بها أقطاب سياستهم ، واقتناعا بتحقيق مبادىء الرئيس ولسن السامية المقررة لحرية الشعوب واستقلالها وحفظ مصالحها واعطائها الحق فى تقرير مصيرها كما تفضلتم فى خطاب سموكم العالى . وان ماقام به جلالة والدكم المعظم وماقام به سموكم من الاعمال الجليلة كان أعظم عامل فى الظفر وانتصار القضية العربية بما اوجب ابتهاج العرب عامة والسوريين منهم خاصة الذين جاهدوا معكم حق الجهادفىسبيل الوصول الى هذه الغاية المقدسة غاية الحرية والاستقلال التام

« لذلك كان الواجب الاول المتحتم على هذا المؤتمر الذى يتكلم بلسان الامة ويعبر عن عواطفها وآمالها ترتيل آيات الشكر والثناء على جهاد جلالة والدكم المحمود وجهاد سموكم وتكرار الدعاء بتوفيق جلالته وسموكم وسمو اخوتكم وآل بيتكم الكريم الذين اشتركوا معكم فى سبيل استقلال البلاد وتحريرها وكانوا معكم أكبر عون لهذه الامة فى تحقيق آمالها ورغائبها

« على ان وقوفكم وقفة الابطال فىميادين الحرب لم يكن أعظم من وقوفكم موقف الدفاع عن قضيتنا الحقة فى ميادين السياسة الخارجية الذى خلد لكم فى بطون التاريخ أفضل الاثر

« ان تنويه سموكم بالظفر الذى تم للعالم وانه لم يكن عسكريا فقط بل هو سياسى قبل كل شىء لانه ظفر الحق على القوة والحرية على الاستبداد قدأثلج صدور أعضاء المؤتمر الذين اجتمعوا فى هذه العاصمة بصفتهم ممثلى الامة ليقطفوا من حدائق الحرية ثمرة جهادها المقدس وقدزادنا اطمئنانا تصريح سموكم بأن اختباراتكم ومفاوضاتكم مع رجال السياسة لم تبق مجالا للشك فى حسن نية الحلفاء ولاسيما نحو بلادنا المحبوبة

« ان الامة ياسمو الامير لتعتمد فى قضيتها الاستقلالية على حقها الصريح بالحياة

والثقة بأن الحق يؤخذ ولا يعطى كما صرحتم بذلك مرارا . على اننا كأمة حية مدنية تريد حياة واستقلالا تاما وتود ان تعيش مع سائر الدول على غاية من الولاء والمحبة الخالصة ستسعى لان تكون سياستها فى المستقبل سياسة صلح وسلام مبنية على الثقة المتقابلة والمنافع المتبادلة التى لا تمس باستقلالنا التام

« ان المؤتمر السورى العام يقدر باسمو الامير مهمته الخطيرة حق قدرها وهو يرى ان موقف البلاد السورية من الوجهة الاحتلالية الموقتة التى قضت بها الظروف الحربية قد آن ان تنتهى وفقا لآمال البلاد وانقاذا لها من مشاكلها الحاضرة فقد مضى نحو عام ونصف والبلاد لا تزال تئن تحت أثقال الاحتلال العسكرى الذى الحق بها اضرارا جمة وأوقف سير مصالحها الاقتصادية والادارية وأوقع ريبة فى نفوس أبنائها فاندفع الشعب وقام بثورات عديدة فى المناطق المختلة مطالبا باستقلال بلاده ووحدتها

« لذلك ولما نشاهده يوميا من عزم الامة الاكيد على المطالبة بحقها ووحدتها والعمل للوصول الى هذه الغاية بكل الوسائل الممكنة واستنادا الى حقنا الشرعى بالحياة الحرة ودماء شهدائنا الاحرار وجهادنا الطويل والعهود التى قطعها الحلفاء لنا والمبادىء السامية التى أعلنوها . وقد أجمعنا بصفتنا ممثلى الامة السورية فى جميع انحاء القطر السورى تمثيلا قانونيا وقررنا باجماع الرأى استقلال بلادنا السورية بحدودها الطبيعية استقلالا تاما لا شائبة فيه مبنيا على الاساس النيابى المدنى وقد اخترنا باجماع الآراء سموكم ملكا دستوريا على البلاد السورية نظرا لما امتزتم به من الصفات وما قمتم به من الاعمال الخالدة لمصلحة الوطن وما عرفتم به من حبكم للحرية والدستور واخلاصكم للبلاد والامة وضربنا موعدا لمبايعة سموكم رسميا نهار غد الاثنين فى ٨ آذار الساعة الثالثة بعد الظهر واعلنا انحلال الحكومات الاحتلالية العسكرية على ان تقوم مقامها حكومة وطنية ملكية مدنية مسؤولة وتدار مقاطعات البلاد على الطريقة اللامركزية

« هذا واننا نحتفظ باسم الامة بصداقة الحلفاء محترمين مصالحهم ومصالح الاجانب كل الاحترام واننا الثقة التامة بأن عملنا هذا سيقابله الحلفاء بكل ارتياح لما نعهدفيهم

من شرف الغاية فيوافقون على استقلالنا التام واجلاء جنودهم عن المنطقتين الغربية والجنوبية فيقوم بحفظ النظام فيهما الجند الوطني والادارة المستقلة وتتمكن الامة السورية بالاحتفاظ بصداقة الحلفاء من ان تبلغ أقصى درجات الرقي وتكون عاملا في المجتمع الدولي المتمدن

ولما كانت الحكومة التي قررنا تأليفها هي حكومة نيابية مدنية مسؤولية تجاه الامة فقد قررنا ابقاء مجلسنا هذا لسن القانون الأساسي والسهر على مراقبة استقلال البلاد والاسس التي وضعها علينا باسم الامة الى ان تتمكن الحكومة من جمع مجلس النواب

وقبل ان نختم عريضتنا نعلن بكل شكر وثناء الخدم التي قام بها اخواننا العراقيون في سبيل النهضة العربية ولا نزال نؤيد طلبنا السابق باستقلال العراق التام ورفع الحواجز السياسية والاقتصادية بينه وبين سورية وتعضد مطالبه الاستقلالية بكل ذلك معرضين شعائر الطاعة والاخلاص الخ

اعلان الاستقلال

وقرار المؤتمر التاريخي فيه

هذا هو نص القرار التاريخي الذي وضعه المؤتمر الوطني العام باعلان وحدة سوريا واستقلالها التام وتلاه عزة افندي دروزة كاتب المؤتمر على الشعب من شرفة البلدية .

ان المؤتمر السوري العام الذي يمثل الامة السورية العربية في مناطقها الثلاث الداخلية والساحلية والجنوبية (الفلسطينية) تمثيلا تاما يضع في جلسته العامة المنعقدة نهار الاحد المصادف لتاريخ ١٧ جمادى الثانية سنة ١٣٣٨ بليل الاثنين التالي الموافق ٧ آذار سنة ١٩٢٠ القرار التالي

« ان الامة العربية ذات المجد القديم والمدنية الزاهرة لم تقم جمعياتها وأحزابها السياسية في زمن الترك بمواصلة الجهاد السياسي ولم ترق دم شهدائها الاحرار وتثر على حكومة الاتراك الا طلبا للاستقلال التام والحياة الحرة بصفتها أمة ذات

وجود مستقل وقومية خاصة لها الحق في ان تحكم نفسها بنفسها اسوة بالشعوب الاخرى التي لاتزيد عنها مدنية ورقيا وقد اشتركت في الحرب العامة مع الحلفاء استنادا على ماجهروا به من الوعود الخاصة والعامة في مجالسهم الرسمية وعلى لسان ساستهم وحكوماتهم وما قطعوه خاصة من العهود لجلالة الملك حسين بشأن استقلال البلاد العربية وما جهر به المستر ولسن من المبادىء السامية القائلة بحرية الشعوب الكبيرة والصغيرة واستقلالها على مبدأ المساواة في الحقوق وانكار سياسة الفتح والاستعمار والغاء المعاهدات السرية المجحفة بحقوق الامم واعطاء الشعوب المحررة حق تعيين مصيرها التي وافق عليها الحلفاء رسميا كما جاء في تصريحات المسيو بريان رئيس وزراء فرنسا بتاريخ ٣ نوفمبر سنة ١٩١٥ أمام مجلس النواب واللورد غراي وزير خارجية بريطانيا العظمى في ٢٣ اكتوبر سنة ١٩١٦ أمام لجنة الشؤون الخارجية وتصريح الحلفاء في جوابهم على مذكرة الدول الوسطى التي رفعها المسيو بريان بواسطة السفير الامريكي في باريس وجواب الحلفاء على مذكرة الرئيس ولسن في ١٠ كانون ثاني سنة ٩١٧ وتصريح مسيو ريبو رئيس نظار فرنسا بتاريخ ٢٢ مايس سنة ١٩١٠ امام مجلس النواب وبيان مجلس النواب الافرنسي ليلة ٤-٥ حزيران ١٩١٧ وبيان مجلس الشيوخ في ٦ منه أيضا وما جاء في خطاب المستر لويد جورج في غلاسكو بتاريخ ٢٩ حزيران سنة ١٩٢٧

وقد كان ماقام به جلالة الملك حسين المعظم من الاعمال العظيمة في جانب الحلفاء هو الباعث الاكبر لتحرير الامة العربية وانقاذها من ربقة الحكم التركي فخلد لجلالته في التاريخ العربي أجل الآثار وأفضلها وقد أبلى أنجاله الامراء الكرام مع الامة العربية في جانب الحلفاء البلاء الحسن مدة ثلاث سنوات حاربوا في خلالها الحرب النظامية التي شهد لهم بها أقطاب السياسة وقواد الجند من الحلفاء أنفسهم وسائر العالم المتمدن وضحوا العدد الكبير من أبنائهم الذين التحقوا بالحركة العربية من انحاء سورية والحجاز والعراق فضلا عما قام به السوريون خاصة في بلادهم من الاعمال التي سهلت انتصار الحلفاء. وما أصابهم من الاضطهاد والتغريب والقتل والنفي والتعذيب تلك الاعمال التي كان لها الاثر الاكبر في انكسار الترك

وجلائهم عن سورية وانتصار قضية الحلفاء انتصارا باهرأ حقق آمال العرب بوجه عام والسوريين منهم بوجه خاص فرفعوا الاعلام العربية وأسسوا الحكومات الوطنية في أنحاء البلاد قبل أن يدخل الحلفاء هذه الديار

ولما قضت التدابير العسكرية بجعل البلاد السورية ثلاث مناطق أعلن الحلفاء رسميا أن لامطمع لهم في البلاد وأنهم لم يقصدوا من مواصلتهم تلك الحروب في الشرق سوى تحرير الشعوب من سلطة الترك تحريرا نهائيا وأكدوا أن تقسيم المناطق لم يكن إلا تدبيرا عسكريا مؤقتا لاتأثير له في مصير البلاد واستقلالها ووحدتها ، ثم إنهم قرروا بعد ذلك رسميا الفقرة الأولى من المادة الثانية والعشرين من معاهدة الصلح مع المانيا فاعترفوا فيها باستقلالنا تأييدا لما وعدوا به من اعطاء الشعوب حق تقرير مصيرها وأرسلوا اللجنة الاميركية للوقوف على رغائب الشعب فتجلت لها هذه الرغبة في طلب الاستقلال التام والوحدة السورية التامة

وقد مضى عام ونصف عام والبلاد لاتزال رازحة تحت الاحتلال والتقسيم العسكري الذي ألحق بها أضرارا عظيمة وأوقف سير أعمالها ومصالحها الاقتصادية والادارية وأوقع الريبة في نفوس أبنائها من أمر مصيرها فاندفع الشعب في كثير من أنحاء البلاد وقام بثورات أهلية منتقضا على الحكم العسكري الغريب ومطالبا باستقلال بلاده ووحدتها

فنحن أعضاء هذا المؤتمر بصفتنا الممثلين للامة السورية في جميع أنحاء القطر السوري تمثيلا صحيحا نتكلم بلسانها ونجهر باراداتها رأينا وجوب الخروج من هذا الموقف الحرج واستنادا على حقنا الطبيعي الشرعي في الحياة الحرة وعلى دماء شهدائنا المراقة وجهادنا المديد في هذا السبيل المقدس ، وعلى العهود والوعود والمبادىء السامية السالفة الذكر وعلى ماشاهدناه كل يوم من عزم الأمة الثابت الأكيد على المطالبة بحقها ووحدتها والوصول إلى ذلك بكل الوسائل – قد أعلنا باجماع الرأي استقلال بلادنا السورية بحدودها الطبيعية ومنها فلسطين استقلالا تاما لاشائبة فيه على الأساس النيابي على أن تراعى أماني اللبنانيين الوطنية في كيفية إدارة مقاطعتهم لبنان ضمن حدوده المعروفة قبل الحرب بشرط أن يكون بمعزل عن كل تأثير أجنبي

ورفض مزاعم الصهيونيين في جعل فلسطين وطن هجرة لهم - وقد اخترنا سمو الأمير فيصل ابن جلالة الملك حسين الذي واصل جهاده في سبيل تحرير البلاد وجعل الأمة ترى فيه رجلها العظيم ملكا دستوريا على سورية بلقب صاحب الجلالة (الملك فيصل الأول) واعلنا انتهاء الحكومات الاحتلالية العسكرية الحاضرة في المناطق الثلاث على أن يقوم مقامها حكومة ملكية نيابية مسؤلة تجاه هذا المجلس في كل مايتعلق بأساس استقلال البلاد التام إلى أن تتمكن الحكومة من جمع مجلسها النيابي على أن تدار هذه البلاد على طريقة اللامركزية .

ولما كانت الثورة العربية قد قامت لتحرير الشعب العربي من حكم الترك وكانت الأسباب المستند اليها اعلان استقلال سورية هي التي يستند اليها في اعلان استقلال القطر العراقي . وبما أن بين القطرين صلات وروابط تاريخية ولغوية واقتصادية وجنسية وكل واحد من القطرين لا يستغنى عن الآخر فنحن نطلب استقلال القطر العراقي استقلالا تاما على أن يتكون بين القطرين الشقيقين اتحاد سياسي اقتصادي

هذا واننا باسم الأمة السورية التي أنابتنا عنها نحتفظ بصداقة الحلفاء الكرام محترمين مصالحهم ومصالح جميع الدول كل الاحترام وان لنا الثقة التامة بأن يتلقى الحلفاء الكرام وسائر الدول المتمدنة عملنا هذا المستند إلى الحق الشرعي والطبيعي في الحياة بما تحققه فيهم من نبالة القصد وشرف الغاية فيعترفوا بهذا الاستقلال ويجلوا جنودهم عن المنطقتين الغربية والجنوبية فيقوم الجند لوطني والادارة الوطنية بحفظ النظام والادارة فيهما مع المحافظة على الصداقة المتبادلة حتى تتمكن الامه السورية العربية من الوصول الى غاية الرقي وتكون عضوا عاملا في العالم المتمدن وعلى الحكومات السورية التي تتألف استنادا على هذا الأساس تنفيذ هذا القرار .

اعلان استقلال العراق

واتحاده بسورية — انتخاب جلالة الملك عبد الله ملكا عليه وسمو الامير زيد نائبا الملك فيه

هذا هو نص القرار الذى وضعه المؤتمر العراقى العام باعلان استقلال العراق واتحاده بسورية سياسيا واقتصاديا وقد تلى هذا القرار على الشعب السورى من شرفة البلدية يوم اعلان استقلال سورية كما تقدم :

قرر المؤتمر العربى العراقى العام الذى يمثل الشعب العراقى تمثيلا قانونيا فى جلسته المنعقدة فى دمشق الشام بتاريخ ٨ آذار ١٩٢٠ و١٠ جمادى الاولى سنة ١٣٣٨ اعلان القرار الآتى :

باسم الشعب العربى العراقى

خاضت الامة العربية نار غمار الحرب الماضية فى جانب الحلفاء لرفع نير الاجنبى عن عاتقها واسترجاع سالف مجدها واستئناف مهمتها الطبيعية فى تمدين الشرق وتحقيق آمالها القومية بالوحدة والاستقلال التام أسوة بغيرها من الشعوب التى نالت استقلالها وهى دونها حضارة ورقيا . وكان الحلفاء الكرام قد قطعوا لها العهود على الاخذ بنصرتها فى هذا السبيل وأعلنوا بلسان رؤساء حكوماتهم ومجالس نوابهم أن لاغاية لهم من الحرب إلا استقلال الشعوب وترك الخيار لها فى بت مصيرها وتعيين شكل حكوماتها فأبرمت بريطانيا العظمى مع جلالة الملك الحسين تلك المعاهدة المعروفة التى اعترفت فيها باستقلال العرب من جبال طوروس وشمالى ولاية الموصل إلى خليج فارس والاوقيانوس الهندى والبحر الاحمر ، وأيد الرئيس ولسن ذلك بما أعلنه من المبادىء السامية التى وافق عليها الحلفاء قاطبة واتخذوها أساسا للصلح الدائم كما جاء فى بيان اللورد غراى وزير خارجية انكلترة أمام لجنة الامور الخارجية فى ٢٣ تشرين الاول ٩١٦ وتصريح المسيو بريان رئيس وزارة فرنسة فى ٣ تشرين الثانى ٩١٥ وردود الحلفاء على مذكرة الدول الوسطى التى أرسلت على يد

السفير الاميركي في باريس وجوابهم على مذكرة الرئيس ولسن في ٢٢ ايا ١٩١٧ وبيان مجلس النواب الفرنسي في ٥ حزيران ١٩١٧ وبيان مجلس الشيوخ في ٦ منه وتصريح المستر لويد جورج في غلاسكو في ٩ حزيران ٩١٩ وما شاكل ذلك من البيانات القائلة بتحرير الشعوب الكبيرة والصغيرة واستقلالها وترك الخيار لها في بت مصيرها والغاء المعاهدات السرية المجحفة بحقوقها

وقد كان لجلالة الملك الحسين الأول وأنجاله أصحاب السمو الأمراء العظام الفضل الاكبر في تحرير الأمة العربية وانقاذها من نير العبودية والذل واحراز النصر المشترك على الاعداء في الشرق فأبلو في الحرب أحسن بلاء وقادوا الامة من نصر الى نصر ثلاث سنوات متواصلة أراقوا فيها دماء زهرة أبناء العراق وسورية والحجاز وكانوا موضع اعجاب الحلفاء والاعداء على السواء ذلك فضلا عما تحملته الامة في الأقطار العربية المختلفة من المصائب والأهوال وما قامت به من جليل الأعمال تأييدا لقضيتها وانتصارا لجلالة الملك وحلفائه الكرام

وقد أسفر هذا الجهد المشترك المتواصل عن اندحار الاعداء وجلائهم عن العراق ودخول الجيوش البريطانية اليه بصفة حلفاء ومحررين فأعلنوا حينئذ أن لا مطمع لهم في البلاد ولا غاية إلا استقلال الامة وترك الخيار لها في بت مصيرها وتعيين شكل حكومتها

على أن الحرب العظمى قد وضعت أوزارها منذ نحو عام ونصف عام والبلاد لاتزال تئن تحت رزء الاحتلال الاجنبي الذي الحق بها اضراراً جسيمة مادية وأدبية وأوقف سير أعمالها ومصالحها الاقتصادية والادارية بشكل كاد يزلزل موقعها السياسي فعيل صبر الشعب من هذه الحال وانتقض في أماكن مختلفة على الحكم العسكري الاجنبي مطالبا باستقلاله التام

فنحن أعضاء هذا المؤتمر الذي يمثل الشعب العربي العراقي تمثيلا قانونيا صحيحا رأينا الآن أن نجهر بارادته ونخرج البلاد من هذا الموقف الحرج والحال المبهم المضطرب فاستنادا الى حق الامة الطبيعي بالحياة الحرة والاستقلال التام والى المبادىء السامية التي أعلنها الحلفاء العظام أكثر من سبعين مرة في خلال الحرب الماضية والى الرغائب التي أعربت عنها الامة العربية العراقية في ٦ ربيع ثاني سنة ١٣٣٧ بوثائق رسمية

وقعها الامراء والرؤساء والزعماء والمفكرون وأفراد طبقات الشعب والى ماشاهدناه ونشاهده كل يوم من عزم العرب العراقيين على نيل استقلالهم التام والتوسل بكل الوسائل الممكنة التي تؤدي اليه وبصفتنا نمثل الشعب المكلفين بالاعراب عن ارادته أعلنا الآن باجماع الآراء استقلال البلاد العراقية المسلوخة عن تركيا بحدودها المعروفة من شمالي ولاية الموصل الى خليج فارس استقلالا تاما لاشائبة فيه وأيدنا استقلال سوريا التام وأعلنا اتحاد العراق بها اتحادا سياسيا واقتصاديا وناديناعضرة صاحب السمو الملكي الامير عبدالله ملكادستوريا بلقب صاحب الجلالة ملك العراق وعهدنا في نيابة الملك الى صاحب السمو الملكي الامير زيد المعظم وأعلنا انتهاء الحكم الاحتلالي العسكري الحاضر على أن تقوم مقامه حكومة وطنية مسؤولة أمام الشعب

واننا باسم الامة العربية العراقية التي أنابتنا عنها وعهدت الينا بتقرير مصيرها نعلن محافظتنا على صداقة الحلفاء الكرام وعزمنا على احترام مصالحهم ومصالح جميع الدول الاجنبية في بلادنا راجين منهم أن يعترفوا بهذا الاستقلال ويجلو عن بلادنا العراقية فيحل محلهم فيها الجند الوطني والادارة الوطنية لتتمكن دولتنا حينئذ من أن تكون عاملا من عوامل الرقي في العالم المتمدن

هذا وان الحكومة العراقية التي تتشكل عاجلا مكلفة بتنفيذ قرارنا هذا تحريرا في ٨ آذار سنة ١٩٢٠ و ١٨ جمادى الاولى سنة ١٣٣٨

رزء اسلامي عظيم - وفاة الدكتور صدقي

في أوائل شهر شعبان من هذه السنة ١٣٣٨ فقد الاسلام رجلا من أفضل رجاله دينا وتقوى ، وأقوى أنصاره حجة ، وأخلصهم نية ، صديقنا الصفي الوفي وولينا وطبيب أسرتنا ، الدكتور محمد توفيق صدقي المعروف عند قراء المنار في مشارق الارض ومغاربها بمقالاته الكثيرة المفيدة من دينية وعلمية تغمده الله برحمته وحشره مع الذين أنعم عليهم من أهل كرامته ، وأكثر في هذه الايام المصابة بالقحط في الرجال من أمثاله

توفاه الله بمصر وكاتب هذه السطور (منشىء المنار) في دمشق واتفق ان منع البريد بين القطرين بعد وفاته فلم أعلم بها الا بعد زهاء خمسة أسابيع فعظم علي وقع المصاب وعلى كل من علم به من اخواننا أهل العلم والدين في الشام ولم أستطع كتابة تأبين ولا ترجمة له في شهر رمضان لاشتغالي بأعمال رياسة المؤتمر السوري وقراءة درس في الجامع الكبير الاموي والتهاب عرض لي في اللوزتين كان كلما خف أخذ يعود الى التهيج والازدياد برفع الصوت في كل من الدرس وضبط نظام جلسات المؤتمر وتلخيص مذاكرته وطلب الاصوات على اقتراحاته حتى اضطررت الى ترك الدرس في أفضل أوقاته وهي العشر الاخير من رمضان ، مع مشقة الصيام . وقلة المنام ، وصرف وقت من الليل والنهار فيما لامندوحة عنه من لقاء الناس ، حتى لم أقرأ في رمضان هذا العام أكثر من ثلاث ختمات من القرآن على انني قرأت في رمضان العام الماضي أكثر من عشر ختمات

ومن غريب الاتفاق ان كانت وفاته قريبة العهد بوفاة تربه وصنوه في النشأة العلمية والدينية الطبيب عبده ابراهيم الذي عد موته نذيرا له بالموت بمثل مرضه وقرب اللحاق به . كتب الي وكيلي وابن عمي السيد عبد الرحمن عاصم انه لما علم بمرضه عاده وسأله عن حاله فقال انني محموم فاذا كانت هذه الحمى تيفوسية فأنا ميت بها لامحالة وكثيرا ما كان ينعى نفسه في السنة التي عاشها بعد صنوه عبده ابراهيم حتى انه في حال صحته كان يقول : لا أدري من يربي ولدي عمر ، وكان شرع في كتابة مقال في العقائد وأخره لينقحه وينشره في المنار فأعطى ما كتبه الى اهله وعهد اليهم بأن يرسلوه الى اذاهو مات ويبلغوني عنه اذنه لي بتصحيحه كعادته فيما يقبل في حياته من التنقيح في المعنى الامايقتنع بصحته أو يوافق نظره . فأرسلوا ما كتبه الى الادارة بعد وفاته وقد نشر في هذا الجزء . وذكر لابن عمي انه عهد اليه بتحرير المجلة الطبية التي انشأتها جمعية الاطباء بمصر وقال له : مازال المنار يدفعني حتى جعلني كاتبا

وسنكتب له ترجمة علمية بعد مراجعة مجلدات المنار التي نشرت فيها مقالاته ومناظراته الدينية لبعض علماء مصر والهند ان شاء الله تعالى